ملفات الكتاب المقدس

السنة الثانية: تموز ٢٠٠١ طبعة ثانية مجددة

٥ ما وراء الموت

مركز الدراسات الكتابية

دار بيبليا للنشر
الموصل – العراق/ ٢٠٠١

افتتاحية

ملفات الكتاب المقدس

(٥)
ما وراء الموت

- **افتتاحية: ماذا وراء الموت؟**
  الاب بيوس عفاص غلاف ٢
- **مقدمة الطبعة الثانية**
  كلمة الناشر ٢
- **للموت طرق عديدة**
  مادلين ليسو ٣
- **الطقوس الجنائزية**
  ماري–كلود ماكيفييج ٦
- **الموت في الشرق القديم**
  موريس اوتاني ٨
- **من الشيئول الى القيامة**
  فيليب كريزون ١٠
- **الانسان والكون بحسب الكتاب المقدس**
  ستيفان اولارد ١٣
- **الوسطية: الدينونة الاخيرة**
  فيليب كريزون ١٥ – ١٨
- **المعتقدات اليهودية في زمن يسوع**
  مارك ديبريك ١٩
- **يسوع امام الموت وما وراء الموت**
  جوزيف ستريكر ٢١
- **ازاء الموت ما هو رجاء بولس؟**
  مارك ديبريك ٢٤
- **ماذا عن استعادة الجسد مجدداً؟**
  فيليب كريزون ٢٧
- **فرق بيبلية: موت لعازر**
  ... ٢٩
- **ورقة عمل:**
  - داؤد يفقد بنيه مارك سيفان ٣٠
  - "سنكون مع الرب" موريس اوتاني ٣١
- **القيامة: توغل الله في التاريخ**
  آلان مرشدور ٣٢

ماذا وراء الموت؟

اذا كان الموت ولا يزال سرّا يحيّر الانسان منذ اقدم العصور، فكيف لا يبقى "ما وراء الموت" سرّا وأيّ سر! والموت –وهو واحد، مهما اختلفت اسبابه وتنوّعت– بقدر ما يبدو لغزا، ويفرز من ثم الاحتجاج او الخضوع للقدر، ولا سيما التمرد على الله او الانصياع له.. بقدر ذلك نرى الانسان يسعى الى حل هذا اللغز، لا بل نجده يبحث له عن معانٍ، وهذه المعاني تتفاوت في القوة والعمق بحسب الحضارات والتقاليد... ومن هنا كانت تلك الطقوس الجنائزية التي، مع التفاوت الكبير في مدلولاتها، تشير الى الاحترام الذي يحاط به الموتى لدى الشعوب... فكانت القبور، وكانت المراثي، وكانت الانصاب...

وكان لشعب العهد القديم نصيبه ومفاهيمه واساليبه في التعامل مع هذا الواقع الانساني المر الذي يطرح على المؤمن تساؤلات هامة، كان لا بد لها ان تلقى اجوبة. ومن الملفت للنظر ان الكتاب المقدس، بقدر ما يشير الى ضعف الانسان، والى الموت الذي للانسان معه موعد، كونه "ترابا"، بقدر ذلك يؤكد على الحياة ويشدد على دعوة الانسان الى أخذ نصيبه منها، ما دام يهوه هو ذلك الإله الحي الذي يخلقه للحياة ويدعوه الى العيش في الحب والفرح والسعادة. واذا كان اليهود قد تخلفوا اجيالاً عن اليونانيين في الاعتقاد بخلود النفس –وكان رجاؤهم يقتصر على الحياة الارضية– فالموتى يذهبون الى "الشيئول" (مثوى الاموات) لانها مكانهم الطبيعي، بعد الارض التي هي مكان سكنى الانسان؛ وبعد السماء، التي هي محل سكنى الله. الا انهم ما فتئوا يسعون الى البقاء في حضرة الله العيش في الرجاء بان هذا الاله الحي، عادل هو، وقادر ان يحييهم! ومن هنا تعمّق لديهم الرجاء بان يهوه اقوى من الموت، وبان بوسعه ان يعيد الحياة الى "العظام اليابسة"، وعلى صعيدين! فكان هناك انتظار وشوق الى الحياة مع الله. وهذه القناعة كان قد عكسها سفر الحكمة (٥٠ عاما ق. م.): "الله لم يصنع الموت ولا يسرّ بهلاك الاحياء، فانه خلق كل شيء لكي يكون" (حكمة ١:١٣–٢٤). وهكذا اصبحت الحياة في نظرهم اقوى من الموت!

من مقتل الشهداء الذين سيضيئون كضياء الجَلَد (دانيال ١٢:٣)، هم الذين لا يسع الله ان يدع دماءهم تذهب سدى –وقد ماتوا في سبيله– الى موت الابرار والصدّيقين الذين، هم ايضا، لا يسع الله الا ان يجيب الى رجائهم المليء بالخلود (حكمة ٣:٤)، نجدنا في زمن يسوع حين كان الصدّوقيون لا يؤمنون بالقيامة، فيما كان الفريسيون يؤمنون انها تأتي في اخر الازمنة...

ونجدنا في الحال في قلب الايمان الفصحي حين كان المسيحيون الاولون يعلنون ان "يسوع الناصري المصلوب قد اقامه الله.. واقامه في اليوم الثالث كما في الكتب"... ذلك لانهم ادركوا ان قيامة المسيح –ولم تكن امرا متوقعا البتة، مما اوقع التلاميذ في دهشة عظمى، كما كان موته قد اوقعهم في حيرة كبرى!– هي افتتاح ملكوت الله وبدء عالم جديد وانسانية جديدة تحيا في الرجاء.. وهكذا بلغ بهم الايمان بقيامة المسيح الى الايمان بقيامة الموتى: إن متنا مع المسيح فسنحيا معه ايضا.

هذا الملف يستعرض المعتقدات لدى الشعوب بشأن ما وراء الموت، وصولا الى شهادة ايمان بني اسرائيل والمسيحيين الاوائل –وقد عكسها الكتاب المقدس بعهديه– شهادة ستبقى أساسية لكل من يبحث عن معنى للحياة، وستُضفي عليها قيامة المسيح نورا، عبر مسيرة ايمانية طويلة تصل بنا الى هذه الحقيقة الاساس والتي تضمّنها جواب يسوع الى الصدّوقيين: ان الله هو "اله احياء وليس اله اموات"!

الموصل في ٣١ ايار ٢٠٠١ — الاب بيوس عفاص

صورة الغلاف: نزول المسيح الى مثوى الاموات ليقيم ادم وحواء
(جدارية بيزنطية/ القرن ١٤ – استانبول)

ملفات الكتاب المقدس:

مجلة تصدر بالفرنسية، خمس مرات في السنة، ومنذ عام ١٩٨٤، بإدارة الخدمة البيبلية "إنجيل وحياة" وهي تقدم في كل عدد احد المواضيع البيبلية الهامة من العهدين القديم والجديد، وذلك بأسلوب علمي مبسط، بهدف تسهيل قراءة الكتاب المقدس وجعله في متناول المؤمنين. يساهم في تحريرها عدد من المتخصصين في العلوم البيبلية. ويسعى مركز الدراسات الكتابية في الموصل الى تعريب عدد من هذه "الملفات" خدمة لطلبته ورواده.

ملفات الكتاب المقدس
طبعة ثانية مجددة/ آب ٢٠٢٠
السنة الثانية/ تموز ٢٠٠١

٥

ما وراء الموت

بقلم عدد من الاختصاصيين
تعريب
الاب بيوس عفاص

مركز الدراسات الكتابية
الموصل – العراق
دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠١

مقدمة الطبعة الثانية

حين تمتى عليّ صديقنا الاب ايوب شهوان، قبل قرابة خمس عشرة سنة، باعادة طبع الملفات الاولى التي كانت قد ظهرت منذ عام ٢٠٠٠، بشكل شبه بدائي، عبر الاستنساخ (!)، اعتبرت المقترح في حينه حلما بعيد المنال، إن لم اقل شبه مستحيل!

وحين ابتسمت لي عام ٢٠٢٠، في الذكرى العشرين على ظهور الملفات، فكرة إخراج طبعة مجددة، بدأت بالملفات ١٩-٢٦ (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، وامتدت من ثم إلى الملفات الثمانية عشر الاولى (٢٠٠٠-٢٠٠٤)، لم اكن اتخيل البتة انها بهذا القدر من الصعوبة، ولا سيما حين اكتشفت انه يترتب إعادة تنضيد الملفات الاولى على الحاسبة وتصحيح مضمونها واستكمال ما نقص او أُسقط منها في حينه، فضلاً عن عملية البحث عن لوحات وايقونات تتناسب مع مواضيعها، لتظهر برمتها بالالوان... ادركت ان المشروع يفوقني، وانه سيتطلب وقتا اطول بكثير مما توقعته! ففيما كنت امتي النفس بسنتين لإكماله (بمعدل شهر او اكثر لكل ملف!) سرعان ما اكتشفت اني ساكون بحاجة إلى ثلاث سنين على الاقل (بمعدّل شهرين لكل ملف)! فطلبت من ربي ان يجعل للسنتين امتدادًا! وتبرمك بعضهم فطلبوا لي خمس سنوات، فيما تمنى بعضهم الآخر "كل العمر"!!

قرائي الاحباء

لا اخفي عليكم، أني بالرغم من توفر الوقت الذي أتاحه، ويا للمفارقة!، فايروس كورونا الخبيث، لم اتوصل خلال الاشهر السبعة الاولى من هذه السنة إلى اخراج سوى خمسة ملفات! ومع ذلك أوطد العزم على المضيّ قدما في تحقيق المشروع برمته: طبعة مجددة للملفات برمتها! وإلى ما شاء الله!

احباءَنا القراء القدامى والجدد

إليكم، اولاً، ايها القراء القدامى، طبعة ثانية مجددة وممتعة للملفات الخمسة الاولى... وإليكم، بالاخص، انتم قراءَنا الجدد الذين لحقتم بالملفات في منتصف الطريق، او حتى في نهاية المشوار، هذه الطبعة المجددة التي فاقت الطبعة الفرنسية جمالاً، وستستمتعون بمضامينها البيبلية العميقة إلى جانب اخراجها الانيق والجذّاب! ويطيب لنا ان نضع بين ايديكم "كشافاً" دسما (من إعداد د. يزن غزالة) أحاط بكل الموضوعات التي تناولتها الملفات الاثنان والستون على مدى الاعوام ٢٠٠٠-٢٠٢٠!

عنكاوا، في ١٩ تموز ٢٠٢٠

مع تحيات دار بيبليا للنشر

الاب بيوس عفاص

ملفات بطبعة ثانية مجدودة

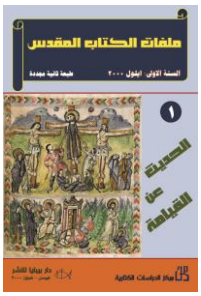

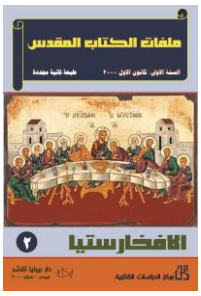

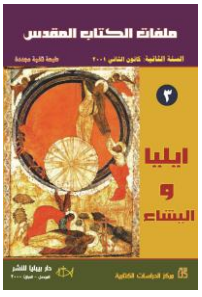

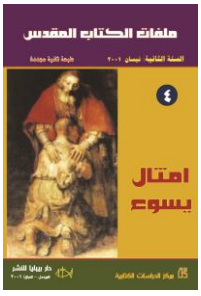

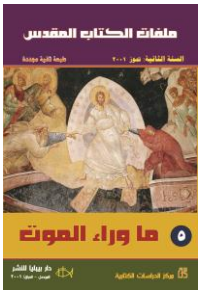

فضلاً عن ٨ ملفات لعامي ٢٠٠٥-٢٠٠٦ (١٩-٢٦)

للموت طرق عديدة

اولى كلمات الكتاب المقدس وآخرها نشيد للحياة: فبداية سفر التكوين تنشد لظهور الاحياء، وخاتمة سفر الرؤيا تدعو الانسان إلى اخذ حصته من شجرة الحياة. ومع ذلك فمنذ البدء لا ينفك الانسان يسمع هذه الكلمات: انك الى التراب تعود! وبين الاثنين نجدنا بازاء قصة كلها حركة عن الاله الحي وعن البشر الذين خلقهم من اجل الحياة، وإن كانوا معدّين للموت، وكثيرا ما يتعرضون للأاعيب الموت!

موعد مع الاحياء

يبدو المـــوت للانسان البيبلي (بحسب الكتاب المقدس) أمراً طبيعياً لا مناص منـــه. انه ملازم للطبيعة البشرية، كما ان الحياة الدائمة هي من خواص الله. فالكلمات "دائما، ابداً، الى الابد" لا تليق الا بالله. بينما لا يستطيع الانسان ان يقول، في احسن الاحوال، سوى "كل حياتي".. حياة قصيرة بقصر الظواهر الزائلة. يقول ايوب والمزمرون: "**تذهب ايامي كالظـــل وقـــد يبستُ كالعشب**" (مزمور ١٠٢:١٢؛ ١٠٣:١٥؛ ايوب ١٤:٢) -ولا شواذ لهذه القاعدة. فالموت انما هـــو "**ميعاد كل الاحياء**" (ايوب ٣٠:٢٣). ويموت الانسان "**كما تذهب الارض كلها**" (يشوع٢٣:١٤).

في اغلب الاحيان لا يكاد الانسان يحتج على قدر كهذا. غير انه يتمنى فقط ألاّ: "**يُرفع في نصف ايامه**" (مزمور١٠٢:٢٥) أو: "**في احلى ايام حياته**" على حد تعبير الملك حزقيا(اشعيا٣٨:١٠).

الا ان ايوب يعلن ثورته ومرارته وهو يشاهد بطلاً يموت ويتلاشى في الوقت الذي يشاهد فيه الشجرة المقطوعة تنبت مـــن جديد: "**تُفرّخ وتنبت فروعاً كالغريسة**" (ايوب١٤:٧-١٢). وحين يُفاجأ الخالق بالواقع، يعود "**يذكر اننا تراب**" (مزمور١٠٣:١٤). وهكذا نرى "**السيد المحب للحياة**" (حكمة١١:٢٦) يرأف بخليقته الواهيـــة و "**يشقّ على الرب موت اصفيائه**" (مزمور١١٦:١٥). لذا فهو حين يأتي، سيعمل على ازالة الموت (اشعيا٢٥:٨؛ رؤيا٢١:٤).

موت في سلام

كثير من رجال الكتاب المقدس يموتون في سلام، بعد انقضاء ايامهم وبعد ان يكونوا قـــد خلفوا نسلا. ونجد في الفصل الخامس مـــن سفر التكوين قائمة رجال خلقوا وعاشوا سنين طويلة وماتوا في راحة بال: فمن آدم الى لامك، مرورا باخنوخ -ذاك البار الذي اخذه الله- ومتوشالح،

نلقى رقما قياسيا في طـــول العمر ٩٦٩ سنة! وتحكي النصوص بعبارات مماثلة عن موت الاباء: نوح، ابراهيم، اسحق، يعقوب. وعلى سبيل المثال نقرأ ان ابراهيم فاضت روحه "**ومات بشيبة طيبة، شيخا مشبعا بالايـــام، وانضـــم الـــى قومه**" (تكوين٢٥:٨). كما ان خبر وفاة موسى المقتضب يقترن بتعليق يستشف منـــه الاعجاب: "**وكـــان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم يكل بصره ولم تذهب نضرته**" (تثنية٣٤:٧).

هذه العبارات المتكررة هي في الواقع بمثابة تأبين: انها تعلن التأييد المطلق لحياة الصديقين، كما تبدو في نظر الله والبشر. كما نجدها تصف، وبفارق ضئيل، موت داود: "**وقد شبع من الايام والغنى والمجد**" (١اخبار٢٩:٢٨). وايوب ذاته، بعد المحنة، "**مات شيخا**" بعد ان رأى "**بنيه وبني بنيه الى اربعة اجيال**" (ايوب٤٢:١٦-١٧). وهل هناك حاجة الى ان نضيف، ومن عين المنطلق، بأن الموت المبكر كان، ولفترة طويلة، بمثابة شر رهيب إن لم نقل بمثابة لعنة الهية؟

الموت القاسي

لا بد من الاعتراف –وقد يكون لنا ذلك سبب عثرة– بان الكتاب المقدس مليء بقصص تروي احداث موت قاس. فأول موت نقله الينا الكتاب المقدس انما هو حادثة قتل: قتل هابيل (تكوين٤). فيما يصدي العهد الجديد برمته لموت مأساوي اخر: صلب يسوع! وبين الاثنين لا يسعنا ان نحصي قصص مذابح خضع لها افراد او تعرضت لها جماعات برمتها. ولا يسعنا ان نذكر ســـوى بضعة امثال: فموسى يقتل مصريا اســـاء معاملة عبراني (خروج٢:١٢). وجدعون لم يتردد في ضرب قاتلي اخوتـــه (قضاة٨:٢١). شاول وابنه يوناثان، وابشالوم ابن داؤد، قَتلوا ومن ثم قُتلوا بدورهم في المعارك. وداؤد نفسه هو الاخر قتل جليات مع "**ربوات**" (١ صموئيل١٨:٧). وهكذا الحال مع سلسلة ملوك اسرائيل ويهوذا: فتاريخهم جميعا مليء بالدم. ويا لها من شريعة قاسية، شريعة الحرب: يباح فيها قتل الاعداء المحاربين، ويُقتَل، احيانا كثيرة، بعـــد الانتصار، الشيوخ والنساء والاطفال...

ويحدث ان يقتل المرء ليصبح ملكا او ليحافظ على الملوكية: انها الحال مع ابيمالك (قضاة٩:٥) وهيرودس بعد زيارة المجوس (متى٢:١٥)، وكثيرا ما يبرر الأخذ بالثأر قتل العدو، واحيانا ابادة شعب برمته. وعلى سبيل المثال نقرأ كيف ان ابني يعقوب، غسلاً لشرف اختهما دينة التي اغتصبت، قتلا بالحيلة والخيانة، كل رجال شكيم (تكوين٣٤:٢٥). وباسم الهه، ذبح النبي ايليا انبياء بعل الاربعمائة (١ملوك١٨:٤٠). ويحدث ايضا ان تقتل امرأة رجلا، ولنا قصتان شهيرتان: يهوديت التي قطعت راس اليفانا (يهوديت١٣)، والمرأة من تاباص التي حطمت جمجمة ابيمالك بالقائها عليه رحى طاحون من اعلـــى سطح البرج المحاصـــر (قضاة٩:٥٣).

قايين وهابيل

يهوديت

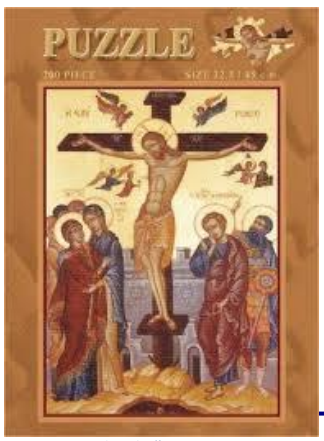

ايقونة الصلب

الحرب التي تحصد الالوف من البشر... المأساة السورية

ويضاف الى الموت الذي تسببه الحروب، الموت الهائل التي ترجع اسبابه الى الفيضانات والكوارث الطبيعية والمجاعة والحريق والوباء وحتى لسعات الحيات... كوارث كانت تفسر بمثابة عقوبات الهية. ونكتفي بذكر قصة واحدة من سفر العدد حيث نقرأ ان ٢٥٠ رجلا اكلتهم نار اخرجها الرب، وان عوائل المتمردين الثلاثة قورح وداثان وابيرام ابتلعتهم الارض التي انشقت من تحت اقدامهم (عدد١٦).

شوق الى الموت وانتحار

في عالم يكون فيه للموت حضور كثيف، نجد الانسان يتوق اولا الى الحياة، ولذا تندر القصص الكتابية التي تتحدث عن الانتحار. هيذي رفقة وقد "**سئمت من الحياة**" لرؤية ولديها يتنازعان (تكوين٢٧:٤٦). وهوذا ايوب، وقد سحقته النكبات بشكل لا يطاق، يأسف انه ولد ويتمنى الموت! (ايوب٣). واحيانا يجد المرء نفسه مرغما على الانتحار، حفاظا على شرفه أو دفاعا عن الله: هوذا شمشون يزعزع أعمدة هيكل داجوز ويموت ومعه كل الفلسطينيين عبدة الاوثان (قضاة١٦:٢٢). وهوذا شاول يؤثر ان يسقط على سيفه من ان يسقط حيا في ايدي اعدائه (١صموئيل ٣١:٣-٤). وابيمالك بعد ان جرح، يطلب الى احد رفقائه ان ينهيه كي لا يقال ان امرأة قتلته (قضاة٩:٥٤).

وزمري الذي استولى على الحكم وأخذ في فخ "**أحرق على نفسه بيت الملك**" وهلك فيه (١ ملوك ١٦:١٨). وفي زمن المقابيين، هوذا رازيس "**يضرب نفسه بسيفه، مفضلا الموت بكرامة من ان يقع في ايدي المجرمين**" (٢ مقابيين١٤:٤١-٤٦).

في حالتين فقط يمكننا الكلام عن انتحار حقيقي بدافع من اليأس: احيتوفل المستشار الشهير لداؤد وابشالوم، حين علم بان مشوراته لم تعد مسموعة، عاد الى بيته وشنق نفسه (٢ صموئيل ١٧:٢٣). والكل يعرف قصة يهوذا الذي ذهب هو الاخر ليشنق نفسه بعد ان خان يسوع (متى٢٧:٥).

عبارات الموت

يستخدم مؤلفو الاسفار المقدسة عادة كلمات في منتهى البساطة للتعبير عن الموت: مات، لفظ أنفاسه، قتل، وقد يكون الوصف احيانا اطول بقليل: "**ضم يعقوب رجليه على السرير وفاضت روحه وانضم الى اجداده**". وهذه العبارة الاخيرة التي ترد كثيرا، تذكّر باهمية القبر العائلي (تكوين٤٩:٣٣). وأمام الموت، ليست هناك تظاهرة، كما ليس هناك طقس مناحة البتة، ذلك لان الرب هو اله الاحياء وليس اله الاموات (متى٢٢:٣٢). وقد تصبح القصة احيانا واقعية جدا: "**ها قد اصبحت مثلنا.. تحتك يفرش السوس وغطاؤك الدود**" (اشعيا ١٤:١٠-١١)! قالها الموتى لملك بابل الذي مات هو الآخر! وهكذا هي الحال مع هيرودس انتياس الذي لفظ انفاسه "**بعد ان اكلته الدود**" (اعمال١٢:٢٣). ولما كان كل تماس مع الموتى يؤدي الى النجاسة، فمن المحال، في مفهوم كهذا، ان يصبح الموتى موضوع عبادة او تكريم. انما كان من الواجب ان يُدفنوا بكرامة. ومهما تناهت القبور في العظمة، لم تصبح قط موضوع تكريم.. إلى ان ظهر الاعتقاد بالقيامة.

مادلين ليسو

الطقوس الجنائزية

كانت الطقوس التي ترافق جثمان الميت تدلل على الاحترام الذي كان يُحاط الكائن البشري. ولا نجد قط في الكتاب المقدس أثرا لاكرام الموتى. بل بالعكس كان كل ما يتعلق بالموت يعتبر نجسا، أعني منافيا لله الذي هو وحده الحي. ولا علاقة للموتى به البتة: انهم في صمت، في الظلمات. بينما الله هو كلمة ونور.

واجب الدفن مقدس

يجب دفن الميت بعد الوفاة وبسرعة. ودفن الموتى هو قبل كل شيء واجب مقدس، ويعتبر ترك الميت من دون دفن لعنة واية لعنة: "...**لا يُندبون ولا يُدفنون، بل يكونون زبلاً على وجه الارض... يموت الكبار والصغار في هذه الارض ولا يُدفنون...**" (ارميا١٦:٤-٦). وفي سفر طوبيا، تُذكّر قصة هادفة بالشرائع الاساسية للحياة اليهودية (حوالي ٢٠٠ قبل المسيح؟)، فيقدَّم البطل كقدوة: انه يخاطر بحياته كي يذهب ليلاً ويدفن جثث الاسرائيليين الذين طُرحوا من دون قبر (طوبيا١:١٧-١٨).

القبور

كان لكل عائلة ولا شك قبرها الذي كان يحفر في الصخر او يُعَدّ في مغارة ما، كما جرى لسارة في حبرون (تكوين٢٣:١٩): فلقد كان قبرها بمثابة سرداب متوسط الحجم يحتوي على حنايا توضع فيها الجثث. ومن هنا جاءت هذه العبارة البيبلية "**واضّجع مع ابائه**". وكانوا يضعون الجسد على مصطبة؛ وحين تحدث وفاة اخرى، كانوا يجمعون العظام في حفرة او اناء خاص ليفسحوا المكان للميت الجديد. فمثل هذا القبر الجديد، قدّمه يوسف الرامي لدفن جسد يسوع (متى٢٧:٦٠). وعلى العكس كان الفقراء يُدفنون في الارض او في حفرة عمومية، يلفهم كفن بسيط.

وكان يشار الى موقع القبر بنصب، كالذي وضع على قبر راحيل (تكوين٣٥:٢٠) وكانت القبور غالبا مبيضة من الخارج كي يحذر الناس ملامستها ويتجنبوا من ثم النجاسة التي تنتج عنها. وكانت المقابر ولا شك بعيدة عن المساكن، باستثناء الملوك الذين كانت اجسادهم تدفن داخل المدينة، فملوك اورشليم دفنوا كلهم تقريبا "في مدينة داؤد"، وإن كنا نجهل موقع هذه المقبرة. وفي وسعنا اليوم ان نرى عشرات القبور القديمة في وادي جهنم وقدرون، ولا سيما في اطراف سلوام.

ليست هناك ابادة للجسد

لم يكن الاسرائيليون يمارسون حرق الجثث، بل بالعكس كانت هذه الممارسة تتخذ طابع الاحتقار الذي يلحق المجرمين الكبار. ذلك ان ابادة العظام تؤدي الى انتزاع راحة المتوفى ما وراء

الموت (عاموس٢:١). هناك ولا شك قصة البنيامينيين الذين احرقوا جثة الملك شاول وبنيه الثلاثة، بعد أن قُتلوا في المعركة (١ صموئيل٣١:١٢-١٣). نحن هنا على الارجح بازاء حرق جزئي يتيح حفظ عظامهم ليتسنى نقلها فيما بعد ودفنها في الوطن الام. وهذا ما فعله داؤد (٢صموئيل ٢١:١٣-١٤).

ونعلم ان يعقوب مات في مصر، وكذلك يوسف، وجرت لهما دفنة على الطريقة المصرية: طُيِّب جسدهما وحُنِّطا، لا للاطمئنان على خلودهما، كما يعتقد المصريون، وانما ليتسنى نقلهما فيما بعد ودفنهما في كنعان (تكوين٥٠:١-١٤ و ٢٤-٢٦).

طقوس اخرى للمآتم

تعبر الطقوس التقليدية عن الحزن والاستغاثة في آن واحد: تمزيق الثياب، لبس المسح، السير باقدام حافية، ستر الوجه ووضع الرماد على الرأس. انها الطقوس عينها التي تمارس ابان الكوارث الطبيعية (الهزات الارضية، الوباء، الجفاف) او في اعقاب اندحارات عسكرية تسبب وفيات كثيرة وتنتج عنها مناحات عمومية وليتورجيات توبة. ففي يوم الحزن يصوم الاهل

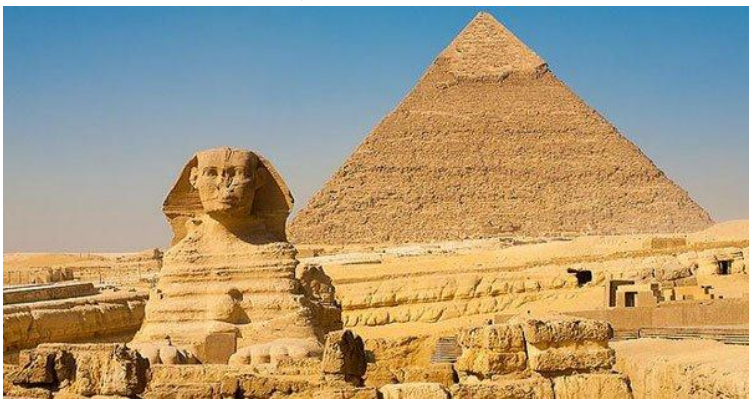

الاهرامات، مدينة الاموات: مقابر الفراعنة/ ابو الهول

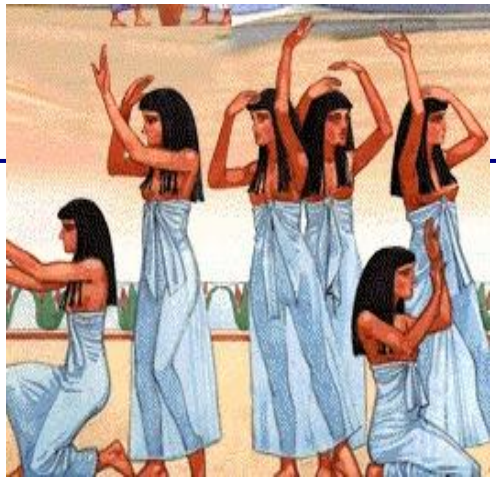

الباكيات على قبر راموس، طيبة (مصر) – القرن ١٤ ق.م.

والاصدقاء (٢صموئيل ١٢:١؛ ٣٥:٣). هوذا ارميا يتكلم عن "**خبز المناحة وكأس السلوان**" (ارميا١٦:٧): انه الطعام الذي يقدمه الجيران والاصدقاء الى العائلة المنكوبة، ذلك لان وجود ميت في بيت يجعل الاشخاص والاشياء كلها نجسة ولمدة سبعة ايام (عدد١٩:١٤-١٦). فاذا كانت هناك في اسرائيل طقوس ممنوعة، فلانها كانت حتما مرتبطة بمعتقدات وثنية (على سبيل المثال انظر تثنية ١٤:١؛ ١٤:٢٦).

وكان للمرثية اهمية كبرى بحيث اصبحت عبارة "اقامة العزاء" تعني في الواقع: انشاد المرثية. وفيها تتحد اصوات الاهل والاصدقاء ولا سيما في صرخة: هوي! (اسفا!)؛ وكثيرا ما تُنشَد نياحة للمتوفى، كالتي انشدها داؤد لشاول ويوناثان ابنه (٢صموئيل١:١٩-٢٧). وغالبا ما كانت هذه المناحة من اختصاص "المنتحبات" اللواتي ينشدنها بعفوية. هوذا ابن سيراخ يقدم مشورة مدهشة: "**يا بني، اذرف الدموع على الميت واشرع في النياحة على ما يليق بمن نزلت به مصيبة شديدة... ليكن بكاؤك مرا واكثر من قرع صدرك وأقم المناحة بحسب مترلته يوما او يومين دفعا للنميمة، ثم تَعَزَّ عن الحزن**" (٣٨:١٦-١٧).

ولم يَدُرْ الحديث عن "**الصلاة من اجل الموتى**" الا في زمن المقابيين (حوالي عام ١٦٤ ق.م.): هوذا يهوذا يطلب ان تقدم ذبائح تكفير عن الجنود الذين قتلوا في المعركة وكانوا يحملون على صدورهم "تمائم" وثنية (٢ مقابيين ١٢:٣٨-٤٥). ومن الجدير بالذكر انه في هذه الفترة بالذات ظهر الاعتقاد بالقيامة.

ماري-كلود ماكيفيج

الموت في الشرق القديم

حين يصطدم الانسان بالموت، فعندئذ يزداد تعلقه بالحياة. ففي كل الديانات يُعبَّر عن الخلاص بمفردات الحياة. والطريقة التي يتعامل بها المرء مع الموت تكشف عن ايمانه بشأن الحياة والموت. ماذا توحي لنا الطقوس والتصورات عن الموت في الشرق القديم؟ هذه المعتقدات المختلفة تمكننا من ان نفهم بالاكثر فرادة اسرائيل.

في ما بين النهرين

لا ريب ان الموت يخلق الخوف. ففي كل مكان من الشرق القديم نجد اهتماماً كبيراً بالموتى، وما ذلك الا بدافع التأكيد على انفصالهم عن عالم الاحياء. لذا كان من الواجب تتميم مختلف الطقوس الجنائزية للحيلولة دون عودة "ارواح" الموتى بين الاحياء لتخويفهم. ومن هنا كانت صيغ طرد الارواح ابان الدفن؛ كما كانت توضع الاطعمة الى جانب الميت لتهدئته ولتجنب انتقام "روحه".

ان تصور الموت لدى الاشوريين والبابليين بلغنا عبر العديد من النصوص المسمارية المكتوبة على الواح الطين، ولدينا مثال في "**نزول عشتار الى المنازل السفلى**". ذلك لان عالم الموتى هو تحت الارض: انه "الاسفل" بالتضاد مع "الاعلى" حيث عالم الالهة، وتفصله عنه "ارض الاحياء"، هذه الارض التي هي عبارة عن اسطوانة مستوية على وجه المياه. واسم هذا العالم السفلي هو "آرالو" ويدعى ايضا "القبر"، او "بيت الظلمات" او "المدينة الكبرى".

في بلد كلكامش

لنر كيف يُصوَّر العالم السفلي في "**ملحمة كلكامش**"، في قصة موت انكيدو الصديق الكبير لبطل الملحمة.

"امسكوني وجاءوا بي الى بيت الظلمات حيث مسكن إركالا، الى البيت الذي يدخله الانسان ولا يخرج منه، الى الطريق الذي مساره لا عودة فيه، الى البيت الذي سكانه محرومون من النور. وهناك يتعذبون بالتراب، وطعامهم الوحيد الطين. هناك، على شبه الطيور، هم لابسون ثوباً من ريش. انهم لا يرون النور البيتة، ومحكوم عليهم بالظلمات".

ففي بين النهرين لا يوجد أي خلاص بعد الموت، ومن ثم، فليس هناك اي مفهوم عن الدينونة. وان روايات الخلقة (اينوما إليش او كلكامش) تشرح جيداً بان الانسان خُلِق ليشتغل عوضاً عن الالهة: وحين يموت، لن يعود نافعاً لها، لذا فهي تنساه. ومع ذلك سيكون من الخطأ القول بان الانسان لم يكن يرجو شيئاً. فملحمة كلكامش، ويمكن ان نعتبرها بمثابة تأمل في مأساوية الموت، كانت معروفة في معظم ارجاء الشرق القديم. انها تحكي قصة الامير كلكامش

كلكامش

انكيدو

الذي شاهد صديقه يموت وراح يبحث عن الخلود. واستوقفته صاحبة المقهى قائلة: *"الى اين تجري يا كلكامش؟ فالحياة التي تركض وراءها لن تجدها البتة. فالالهة حين خلقوا البشرية، فهم انما اعطوها الموت. اما الحياة فقد احتفظوا بها في قبضتهم!"* . وبكلمة، فان عالم الموت هو عالم معادٍ وكئيب. والتصورات السائدة في ما بين النهرين عن الموتى تحمل طابعاً تشاؤمياً.

في مصر

في مصر، نحن مع قليل من التفاؤل. فالمصري يعتقد بان حياته يمكنها ان تتواصل ما بعد الموت. لذا فهو يسعى بشكل جاد الى إعداد هذه الحياة الاخرى، عبر تشييد قبور تتفاوت في الكبر. وفي هذا القبر يضع عدداً من الامتعة تمكنه من الاستمرار في العيش كما كان على هذه الارض. انه يسعى الى ان تكون على الجدران رسوم توحي بفيض من الاطعمة. اما تلك الاهرامات العملاقة، فليست سوى قبور ملكية. وعملية التحنيط الشهيرة التي كانت وقفاً على فرعون، سرعان ما عمّت في زمن الامبراطورية الجديدة (بعد ١٥٥٠ ق.م) بين الوجهاء، ومن ثم بين افراد الشعب. وبعد الموت، فان طقس التكريم الجنائزي الذي كانت الاسرة وسليلوها يحرصون عليه اشد الحرص، يهدف الى توثيق عُرى الوحدة بين الاحياء والاموات.

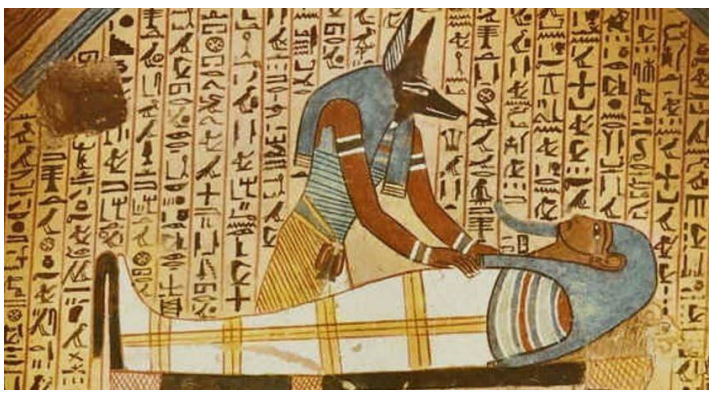

مومياء: ما زال التحنيط قائما حتى يومنا!

اوزيريس، اله الموت والحياة

في بلد اوزيريس

ما هو مضمون المعتقدات المصرية؟

كان المصريون بشكلٍ عام ينظرون الى ما وراء الموت وكأن هناك تواصلاً مع الحياة الارضية. وللبلوغ الى هذه الحياة بعد الموت، كان على الميت ان يجتاز مخاطر ومحناً كثيرة. وكان عليه بشكل خاص ان يخضع لدينونة: انها عملية وزن النفس لمعرفة ما اذا كانت اعمالها الحسنة تفوق خطاياها... وكان هناك من حسن الحظ نموذج الهي: اوزيريس الذي يملك على عالم الموتى. وبحسب الاسطورة التي تحمل اسمه، فلقد سار في طريق قادته من الموت الى الحياة، لذا فاتِّباعه هو الرهان لغلبة الحياة على الموت.

هذه الطريق المكشوفة نجد وصفاً لها في "كتاب الموتى" الذي يرقى الى عام ١٦٠٠، ويمكّن بالتالي كل انسان من ان يجعل رحلته الى ما وراء الموت ناجحة: فراح المصريون يضعون نسخة منه في كل نعش؛ وهكذا وصلتنا منه نسخ عديدة. وبموجب هذا الكتاب يُنظَر الى الموت ذاته بشكل هادئ: انه بمثابة رقاد ويشكّل جزءاً من ظاهرة الدورات الطبيعية. وهكذا نرى بانه يوجد في مصر شبه رجاء لدى الانسان بامكانية متابعة حياته بعد الموت. ومن هذا المنطلق تضحي الحياة ذاتها وكأنها فرصة لاعداد الحياة بعد الموت.

موريس اوثاني

من الشيئول الى القيامة

لقد تأخر في اسرائيل الرجاء بعالم ما وراء الموت. ففي القرن الثاني فقط ق.م.، ترك الاعتقاد بالشيئول المكان للايمان بالله قادر على احياء الموتى. وان لهذا الايمان الجديد اساسين قديمين جدا في ايمان اسرائيل، وهما: ان الله عادل، وانه ينبوع حياة.

ظل قائما لدى الاسرائيليين، ولفترة طويلة، المعتقد التقليدي بـ"الشيئول"، عالم الموتى، ولم يكن بوسع سفر ايوب او سفر الجامعة ان يعكسا تلك النبرة المأساوية لو كان لمؤلفيهما شعاع من الرجاء، مهما كان ضئيلا، بحياة بعد الموت: "**ابن ادم، متى فاضت روحه فاين يوجد؟... فالانسان يضجع فلا يقوم؛ الى ان تزول السماوات لا يستيقظون ولا ينبعثون من منامهم**" (ايوب١٤:١٠، ١٢). وهكذا هي الحال في حدود عام ١٨٠ ق.م.، حين نجد حكيما كابن سيراخ لا يعلم البتة اي رجاء باتجاه اولئك الذين هم في الحزن: "**لا تسلِّم قلبك الى الحزن... لا تنس: فانه لا رجوع من هناك... اذكر ان ما قضي عليّ قضي عليك: (لي امس ولك اليوم)**" (ابن سيراخ٢٨:٢٠، ٢٢؛ راجع ٤١:١٤). ولا نجد في أي سفر من التوراة (الاسفار الخمسة الاولى) قط تأكيدا على حياة بعد الموت.

صور للرجاء

ومع ذلك، نجد لدى الانبياء اقوالا كثيرة هي على طرفي نقيض مع هذا الافق المغلق والمقفل. ولا شك ان احد هذه النصوص هو رؤيا العظام اليابسة لدى حزقيال النبي : "**تنبأ للروح.. وقل: هلم ايها الروح من الرياح الاربع وهُبَّ في هؤلاء المقتولين فيحيوا. فتنبأت كما امرني، فدخل فيهم الروح فعاشوا وقاموا على اقدامهم جيشا عظيما جدا جدا**" (حزقيال٣٧:٩-١٠).

ويمكننا ايضا ان نورد من سفر هوشع النبي كلمات الاسرائيليين الذين قرروا ان يتوبوا: "**هلموا نرجع الى الرب، لانه هو افترس وهو يشفينا... بعد يومين يحيينا، وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا امامه**" (هوشع٦:١-٢). او رؤيا المستقبل بقلم نبي مجهول من زمن بعد الجلاء: "**... ويزيل الموت على الدوام. ويمسح السيد الرب الدموع عن جميع الوجوه ويرفع عار شعبه عن كل الارض**" (اشعيا٢٥:٨).

في كل هذه النصوص، يعبر الانبياء في الواقع عن رجائهم بالله بشكل صوري: فالموت والحياة على لسانهم، انما هما بمثابة استعارة او تشبيه يهدفان التذكير بمحن الشعب واعلان الخلاص المنتظر من قبل الله وحده. هوذا حزقيال يفسر رؤياه بوضوح: "**هذه العظام هي بيت اسرائيل بأجمعهم. ها هم قائلون: قد يبست عظامنا وهلك رجاؤنا وقضي علينا... هكذا قال السيد الرب: هاءنذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا**

رؤيا العظام اليابسة – بريشة جيورجيو غيزي (١٥٢٠-١٥٨٢)

شعبي، وآتي بكم الى ارض اسرائيل" (حزقيال ٣٧:١١-١٢). اما في مـــا يتعلق بنصوص هوشع واشعيا (الفصلان ٢٥-٢٦)، فان آفاقها الوطنية، وحتى الشمولية منها، تكشف عن انها لا تقصد مصير الموتى، وانما تاريخ اسرائيل: فان انبعاثه سيكون علامة خلاص للجميع.

الحياة اقوى من الموت

وفيما يعكس الانبياء، وبشكل مستمر، واقع الموت والشيئول، نجد من جهة اخرى ان ايمان اسرائيل ظل متعلقاً بحقيقتين اكيدتين وهما: اولاً، ان الله عادل، وثانياً، انه الحي القادر ان يحيي. فيفضل هذا الايمان، لم يفقد المؤمنون رجاءهم ازاء المحن الكبرى، كسقوط اورشليم ومحنة الجلاء. ولكن ألم تكن هذه الكوارث هي الاخرى بمثابة موت للشعب؟ إذا كان اسرائيل قد تجاوز محنة الجلاء، أليست تلك علامة على ان الله قادر ايضا على ان يغلب الموت؟ وهكذا استطاعت تلك الصور عن الموت والحياة التي اوردناها اعلاه ان تعبّر، ليس عن رجاء قومي حسب، وانما ايضاً عن انتظار اكيد للحياة مع الله:

"لذلك فرح قلبي وابتهجت نفسي
حتى جسدي استقر في امان
لانك لن تترك في مثوى الاموات نفسي
ولن تدع صفيَّك يرى الهوة"

(مزمور١٦:٩-١٠)

في مثل هذه العبارات -ومن الصعب تحديد تاريخها- كيف يمكننا ان نميز بين ما هو صورة شعرية او شطحة نفس، وبين ما يعبر عن ايمان ناضج ويقين أكيد؟ فاذا كانت الصلاة تعبر عن فرح الحياة مع الله، فلا شك ان هذه المزامير (انظر ايضا المزمور ٧٣:٢٣-٢٤) ترى ان الله قادر على ان يجعل هذه الحياة تتواصل حتى ما وراء الموت. غير ان هذا الانتظار، هل هو حلم رائع ام واقع؟ واذا كان الله هو سيد الحياة والموت، ألا يستطيع ان يجنب اخصاءه الخضوع لموت مبكر او ظالم؟ هناك ولا شك بعض الشفاءات العجائبية -كالشفاء الذي تم لحزقيا الملك (اشعيا٣٨:١٢، ١٧)- الا انها لا تستطيع البتة ان تنسينا بان هناك في كل مكان ابرياء وصديقين ينال منهم الموت القاسي دون ان يتدخل الله! ومـــن هنا كانت صراخات ايوب، وقد اضحى الناطق باسمهم.

رجاء الشهداء

ان اول تأكيد على الايمان بالقيامة مرتبط بمحنة هي اكثر قسوة مـــن الجلاء: اضطهاد الملك السوري انطيوخس ابيفانيوس ضد اليهود الامناء على إيمانهم، ما بين عام ١٦٧ و ١٦٤ ق.م. هوذا مؤلف سفر دانيال يعلن بان الله، في اخر التاريخ، سيقيم الدينونة الكبرى بين المؤمنين والكافرين: **"كثير من الراقدين في ارض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الابدية وبعضهم للعار والرذل الابدي"** (دانيال١٢:٢). فرؤساء الشعب الروحيون الذين سقطوا **"تحت السيف واللهيب والسبي والنهب"** (١١:٣٣)، هم **"الذين جعلوا كثيرا من الناس ابرارا، سيضيئون كضياء الجلد، ابد الدهور"** (١٢:٣). وهكذا تبدو القيامة وعدا لهؤلاء الشهداء الذين علّموا شريعة الله وظلوا أمناء لها حتى الموت. اذ لا يسع الله إلا ان يقيم لهم العدل.

وسفر المقابيين الثاني، ويرقى الى اصول فريسية (حوالي ١٢٠ق.م.)، يتوسع في تعميق هذا الرجاء في قصة الاخوة السبعة وامهم: كل واحد منهم، قبل ان يُقتل، يجاهر بايمانه بالله الذي يقيم الذين يجودون بحياتهم مـــن اجله (٢ مقابيين٧:٩، ١١، ١٤، ٣٦). والام ذاتها، وهـــي تستذكر ولاداتها السبع، تؤكد ان الخالق ذاته سيخلق من جديد اولئك الابرار **"في زمن الرحمة"** (٧:٢٣، ٢٩).

ايقونة عن الاخوة السبعة وامهم

ونجد في هذا السفر ذاته تلك الرواية التي تعلن عن شرعية الصلاة من اجل الموتى، مما يفترض الاعتقاد بالقيامة (٢ مقابيين١٢:٣٨-٤٥).

كيف نتكلم عن القيامة؟

حين نقول "عودة الى الحياة" نجد، لا محالة، صورتَي النهوض والاستيقاظ، ما دام الموت يعني ان المرء "يضجع مع ابائه". وهكذا، ان كان الله قادرا على ان ينتشل الابرار من الموت، فهذا يعني ان الموت ليس سوى رقاد، وانه بالتالي مؤقت:

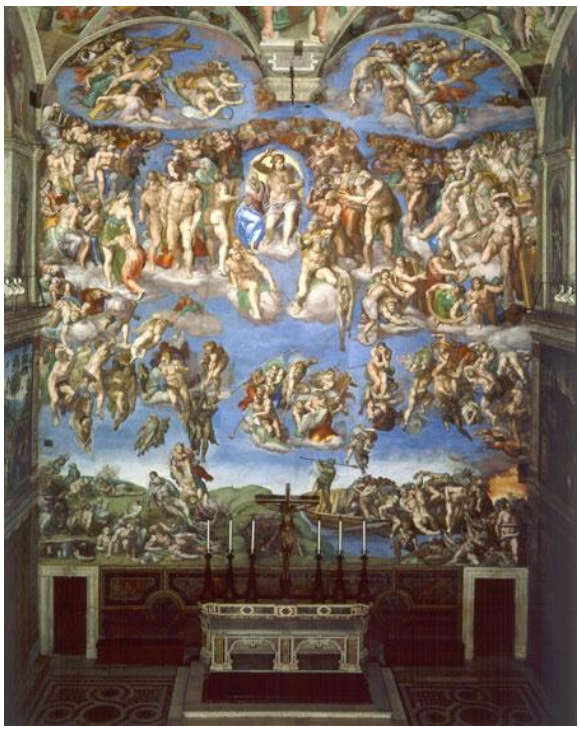

الدينونة العامة لميكيل انجلو-١٥٤١/ معبد سستين – الفاتيكان

"**ستحيا موتاك وتقوم جثثهم: استيقظوا وهللوا يا سكان التراب!**" (اشعيا ١٩:٢٦). واليهود الفريسيون الذين يعلقون على القيامة اهمية كبرى، سيحتفظون بهذه المفردات التي ستنتقل الى العهد الجديد.

واخر سفر من العهد القديم (كتب حوالي عام ٥٠ ق.م.)، هو سفر الحكمة، يعرف جيدا هذا الرجاء الجديد، ولكنه يستخدم مفردات يونانية لا غبار عليها، مثل "الخلود" (اثناسيا) او "عدم الفساد": "**ان الله خلق الانسان لعدم الفساد**" (حكمة ٢:٢٣)؛ "**وأما نفوس الابرار، فهي بيد الله فلا يمسها اي عذاب... حُسبَ ذهابهم مصيبة... لكنهم في سلام... فرجاؤهم كان مملوءا خلودا...**" (حكمة٣:١-٤)؛ فكانت النتيجة ان "**الامناء في المحبة سيلازمونه (الله)**" (حكمة٣:٩).

قد يأخذنا العجب من هذه اللغة التي تبدو برمتها "لا واقعية"، "بدون جسد"، فضلا عن كونها جديدة على الكتاب المقدس (انظر المقال التالي). ويبدو ان المؤلف، وهو يهودي من الاسكندرية، قد اختار هذه المفردات المالوفة بالنسبة الى مواطنيه كي يتجنب الحديث عن "قيامة الاجساد" والتي كانت ستبدو في نظرهم غامضة إن لم نقل مبتذلة، تماما كما جرى لبولس حين اخذ يتحدث الى الاثينيين عن يسوع وعن قيامته وقيامة الموتى (اعمال١٧:٣٢). فالحديث بمفردات الخلود، وإن يشوبه خطر احتقار الجسد، له الفضل في ابعاد الصور الارضية، مما يحملنا على التفكير بعالم ما وراء الموت بوصفه حياة مع الله[1].

فيليب كريزون

---

(١) لا بد من التذكير بضرورة الرجوع إلى الملف الاول "الحديث عن القيامة" (في طبعته الثانية المجددة/ نيسان ٢٠٢٠) ويتضمن طرحاً مفصّلاً عن التدرج في الايمان بحقيقة القيامة، فكانت قيامة يسوع الحدث المؤسس للايمان المسيحي (الناشر)

الانسان والكون

بحسب الكتاب المقدس

التصورات التي يعكسها الكتاب المقدس عن الانسان والكون هي، بشكل عام، مشتركة مع المفاهيم السائدة في الشرق الادنى القديم. الا انها لم تعد مألوفة بالنسبة الينا، لاننا قد ورثنا مفاهيم اخرى تكونت عبر اصولنا اليونانية – الرومانية، ولا سيما عبر معارفنا العلمية التي قلبت، منذ القرن ١٦ (كوبرنيك وغاليلو)، رؤيتنا القديمة للعالم!

عالم بثلاث طبقات

يرى الساميون العالم وكأنه "بيت" بُني على ثلاثة مستويات: في الطابق العلوي: السماء؛ في الطابق الارضي: الارض؛ وفي الطابق السفلي: الشيئول او الجحيم (اي المنازل السفلية). ويرى مؤلفو الاسفار المقدسة بان لكل مستوى مكانته في عمل الله الخلاق (راجع مزمور ١٠٤). وهذه الرؤية للعالم –وتنعكس منذ اول قصيدة عن الخلقة– هي مشتركة الى حد كبير مع اساطير الخلقة والكون لدى البابليين.

نزل يسوع الى الشيئول ليحرر الابرار الذين سبقوه
جدارية بازميل الايطالي رومانينوس (١٤٨٤ – ١٥٦٦)

فالسماء هي مسكن الله، وهي من ثم بعيدة المنال للانسان. فما عدا بعض روايات الصعود النادرة التي تحكي اختطاف الله لبعض الرجال (اخنوخ: تكوين٥:٢٤؛ وايليا: ٢ملوك ٢:١١)، يستحيل على البشر ان يصعدوا الى السموات. لنتذكر مصير اولئك الذين ارادوا بناء برج بابل (تكوين١١:٤–٩).

والارض هي، بدرجة كاملة، مجال للانسان، وقد دُعي الى ان يفلحها ويسكنها ويسيطر عليها. ليست الارض ملكه: انما هو قَيِّمٌ عليها وحارس لها (تكوين٢:١٥؛ راجع مزمور ٢٤:١٢). ومع ذلك يحدث ان يكشف الله عن حضوره السري في الارض: انها التجليات، كما كان الامر لدى عطية الشريعة في سيناء (خروج١٩:١١، ١٨). الا انه ليس بوسع الانسان ان يرى الله او يلمسه، كما هي حالته مع السموات. والانسان الكتابي المخلوق على صورة الله لا يحق له ان يحلم بالسماء او يشتاق اليها، طالما انه تلقى الارض بمثابة عطية من قبل الله. فصلاته وحدها بوسعها ان تصل الى السماء (١ملوك٨:٣٠)، الا ان سماء الله كثيرا ما تحضر للانسان ولا سيما للانسان المتواضع (اشعيا٥٧:١٥).

اما الجحيم او جهنم –وبالعبرية "شيئول"–، فلقد استطاع الفكر البيبلي ذو الواقعية الكبيرة ان يتصور مكاناً تحت الارض يكون مثوى للاموات الذين يوارون التراب، اي يُدفنون في الارض. وهناك يجد الميت ذاته قد اضجع مع ابائه واجداده (ايوب٣٠:٢٣). فلكل كائن بشري موعد، يوما ما، مع هذا المكان الذي "يستدعيه"

("شآل" بمعنى دعا او طلب، قد يكون الفعل الذي منه أُشتقت كلمة شيئول). وهذا الشيئول ليس مكاناً للعقاب او العذاب (كما توحي بـه كلمة "جهنم")، وانما يمكننا ان نتصوره مكاناً موحشاً، تقترن فيه صور الظلمة مع الصمت والغبار، وحيث الكائنات لم تعد سوى ظل ذاتها! (الاشباح، راجع اشعيا١٤:٩).

الانسان الكتابي: كله في الارض

كثيرون تعلمـوا في دروس "التعليـم المسيحي" ان الانسان مركّب من نفس وجسد. وغالباً ما ننسى ان هذه الرؤية الثنائية للانسان لا تنتمي الى التراث البيبلي، وانما تأتي من الحضارة اليونانية. فالفيلسوف افلاطون، وعـدد كبير من كتّاب الحضارة القديمة في اثره، كانوا يقبلون هذا التصور الذي بموجبه يكون مصير الجسد الموت، فيما تكون النفس مدعوة الى الخلود. والمسيحيون، منذ الاجيال الاولى، شاءوا ان يجمعوا بين التراثين. ومن المؤسف ان يكـون المفهـوم الكتابي، قـد تحجّم وتشوّه.

يعلم الانسان اليهودي، وفـق منطوق تصوره للعـالم، انه ينتمي الى الارض. انه "لحم" (باسار) اي انه متضامن مـع الارض ومـع عالم الحيوانات، وهو في القمة منه. واسم ادم، قبل ان يصبح اسم علم، الا يعني "الانسان" بصفته خارجاً من الارض، وقد جبل منها (آداما=الأدم). وتنفسه يـدل علـى انه يشـارك في الحيـاة وفي نفخة (رواخ=روح) الله، هذه الروح التي كانت ترفرف على وجه المياه في بدء الخليقة (كما ورد في فاتحة سفر التكوين). وهذا "اللحم" الذي أحياه روح الله اصبح يدعى "نيفيش" -وتترجم هذه الكلمة بالعربية بـ"نفس"، والافضل ان تترجم بعبارة "كائن حي": "**ونفخ (الله) في انفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية (كائناً حياً)**" (تكوين ٢:٧).

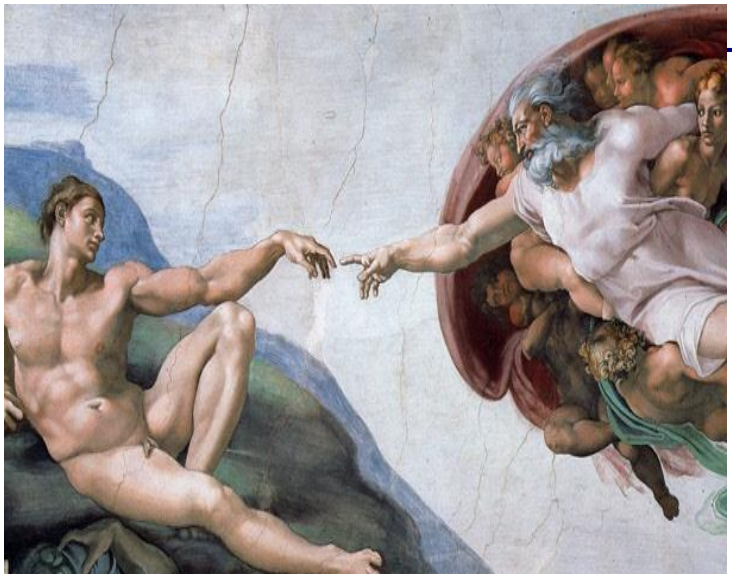

جدارية الخلقة لميكيل انجلو – ١٥١١/ معبد سستين - الفاتيكان

وحين يموت الانسان

ان واقعية الانثروبولوجيا الكتابية لا يمكنها ان تقود الى التصور بان الانسان، حين يموت، يتلاشى في جسده (لحمه) -العائد الى التراب الذي صُنع منه (ايوب١٧:١٦)-، بينما نفسه تبقى لتطير الى مسكنها الحقيقي في السماء! بل ان الموت يطال الشخص البشري كله حين تُنتزع منه روح الله: فالانسان يغيب في "جسده" (أي كيانه البيولوجي، والواهي بالتالي)، كما في "نفسه" (كيانه المفعم بالحياة، اي "الكائن الحي").

لذا كان الرجـاء بالنسبة الى المؤمن في العهد القديم، مقتصراً على هذه الحياة الارضية. فمسألة "ما وراء" لم يكن لها مكان في تفكيره كما كانت ماثلة في الاساطير المصرية او اليونانية التي تتحدث عن رحلـة النفس بعد الموت. ولم ينشأ الاعتقاد بالقيامة ولا التفكير بمكافأة الصدّيقين الا في القرنين الاخيرين قبل يسوع. ومع ذلك، فان لغة العهد الجديد بشأن المـوت ستبقى متأصلة بشكل عميق في رؤيـة اليهود هذه عن الانسان والكون.

إستيفان اولارد

الدينونة الاخيرة

من اجل مرضى مستشفى بون (Beaune)، في حدود عام ١٤٥٠، رسم الفنان الفلامندي روجييه فان دير وايدن رافدة مذبح رائعة لكنيسة المستشفى. ففي مؤخرة القاعة الكبرى، وفوق المذبح الذي كان يقام عليه قداس الاحد، كان بوسع هذه اللوحة الواسعة ان تخاطب، بقوة، المرضى والمدنفين على الموت الذين كانوا يستعدون لعيش دينونة الله.

لاهوت الدينونة

منذ اجيال، كانت واجهات الكنائس تصوّر غالبا موضوع المسيح الديان في مثل متى ٢٥:٣١-٤٦: "...**يجلس على عرش مجده... ويفصل الناس بعضهم من بعض... ويقول للذين عن يمينه: تعالوا يا مَن باركهم ابي...". ثم يقول للذين عن الشمال: اليكم عني ايها الملاعين إلى النار الابدية...**".

هذان القولان للمسيح مكتوبان هنا على جهتيه: عن يساره، بالاحمر، للملعونين، وعن يمينه، بالابيض للمباركين. إلا ان الاختلاف الكبير بين هذه الرافدة وبين واجهات الكنائس، يكمن في ان المسيح هنا، لا يقسم البتة المجال من الطرفين: السماء وجهنم. بل بالعكس، تكاد اللوحات التسع كلها تمثّل السماء، بفضل وضع القديسين من جهة، ووضع المسيح من جهة اخرى. وفي الواقع، لا يُرى المحكوم عليهم إلا في الاسفل، في الجانب الايمن، وجهنم التي يتراكضون نحوها لا تكاد تُرى إلاّ في اقصى اليمين.

هناك قديسان يُميَّزان: يوحنا المعمذان إلى اليمين، وهو آخر الانبياء، ويمثل صدّيقي العهد القديم برمتهم، ومريم إلى اليسار، وهي تفتتح زمن العهد الجديد. ووراءهما، الرسل الاثنا عشر، مع بطرس عن اليسار، باللون الاحمر، وبولس عن اليمين، باللون الاخضر. ووراء بطرس: احد البابوات، واحد الاساقفة، وملك وراهب؛ اما وراء بولس فنجد: ثلاث نساء شابات، من بينهن ملكة، واخرى مريم المجدلية على الاكثر، وهي الاكثر قربا من جهنم، ولكنها نالت الغفران.

ميخائيل رئيس الملائكة

في المركز من الرافدة، هوذا ميخائيل، "امير" سفر دانيال، يشرف على القيامة والفصل: "**بعضهم للحياة الابدية،**

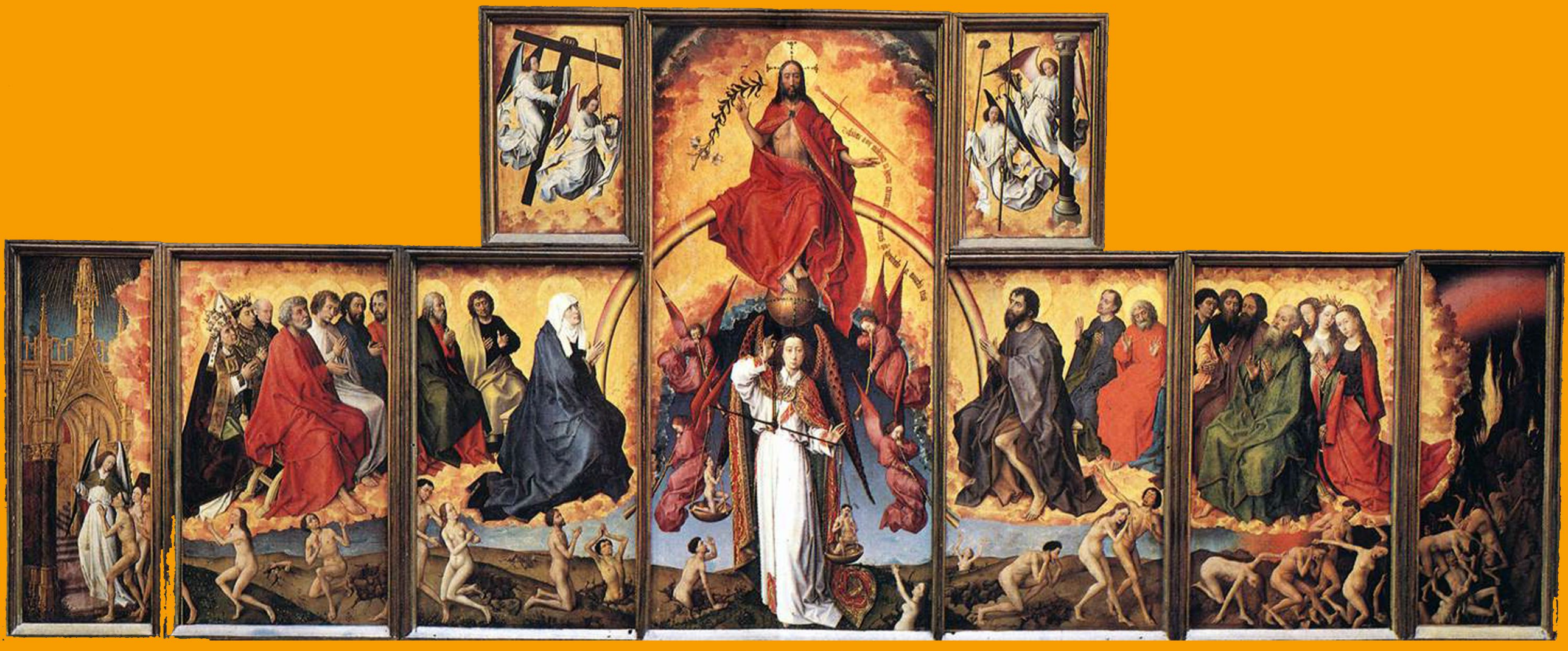

الدينونة الاخيرة

(1399-1464)

رافدة مذبح مستشفى "اوتيل ديو" في مدينة بون (Beaune) – فرنسا

تتمة ص١٥

وبعضهم للعذاب الابدي" (دا١٢:١-٢). وكما هي الحال في سفر الرؤيا، فهو يحارب التنين. الشيطان، ويطرده من السماء إلى الارض (رؤ١٢:٧-٩). وهو محاط باربعة ملائكة ينفخون في البوق في الجهات الاربع (مت٢٤:٣٠-٣١). وميخائيل يزن شخصا: ففي الكفة اليمنى "خطاياهُ" وقد صُوِّرت عبر خادم يصيح ويقوم بحركات، بينما، في الجانب الايسر، العبد ذاته في وضع صلاة، ومتّسم بالسكينة: انه يمثّل "فضائله".

بخلاف الموازين الحقيقية، ليس الاكثر اهمية هو الاكثر ثقلاً: ذلك ان هنا، ارتفاع الخير هو الذي يغلب، ويقرّب من المسيح، بينما الشر يدحرج نحو الاسفل، باتجاه جهنم. وقد يكون فان دير وايدن، من دون علمه، التحق بالمصدر المصري بشأن وزن النفوس: ذلك ان **كتاب الاموات**، او نفس الميت، كان يزنها انوبيس، وكان على النفس، كي تلتحق باوزيريس، ان تكون اكثر خفة من ريشة، وإلا فهي تنزل ويبتلعها مسخ.

قيامة الاموات

اسفل الرافدة يُرينا الارض عارية وهي تنفتح كي تدع المنبعثين يخرجون. وان هيئتهم هي التي تشير مسبقا إلى مصيرهم: كل الذين من اليسار، وكذلك امرأتان إلى اليمين، ملتفتون نحو المسيح، متضرعين إليه، ومن ثم يذهبون باتجاه باب الفردوس، في اقصى اليسار، حيث يستقبلهم ملاك. اما الآخرون، عن اليمين، فهم يحوّلون وجههم عن المسيح، وليس من شيطان يقودهم: ذلك انهم هم انفسهم، يلتصق الواحد بالآخر ويسحبون ذواتهم ويتدحرجون شذر مذر في جهنم: ذلك ان شياطينهم هم من الداخل. ويعرف المسيحيون جميعا ان المرضى، على مثال الذين واللواتي يعتنون بهم في هذا المستشفى: سوف يدانون على الحب، على ما فعلوه او لم يفعلوه تجاه الصغار الذين هم اخوة المسيح.

لقد كان القرن الخامس عشر حقبة رهيبة: حرب المئة سنة مع ما خلّفته من مآسي التخريب والنهب والجوع؛ وكان الطاعون قد جعل الجميع يرون جثثا لا تحصى. فمن اجل مرضى مدينة بون، وضع روجييه فان دير وايدن كل موهبته: ففي رسالته، كشف ان الرجاء اقوى من الخوف. كما ان "مسيحه" الديان محاط بملاكين يحملان "ادوات الآلام": فلقد تألم هو ايضا مثل المرضى. وهو يدعونا إلى مقاسمته موته وقيامته.

فيليب كريزون

المعتقدات اليهودية
في زمن يسوع

لا يستطيع المؤمنون إلا ان يتخيلوا ما وراء الموت!
رافدة مذبح بريشة جيروم بوش/ قصر الدوق – البندقية (١٥٠٠)

خلّف التقليد اليهودي، باستثناء الكتاب المقدس، نصوصاً منحولة عديدة معاصرة للعهد الجديد. ليست هذه النصوص مألوفة لدينا، الا انها ذات فائدة كبيرة لمعرفة التصورات، في زمن يسوع والمسيحيين الاولين، بشأن الحياة بعد الموت.

سعادة على الارض

في "**كتاب اليوبيلات**" تبدو نهاية الازمنة امتدادا لحياة ارضية مكتملة: "***وسيكون في هذه الايـــام: يبدأ الاولاد بدراسة الشرائع وحفظ الوصايا... وحينئذ لن يكون شيوخ من بعد، كما لن يكون احـــد قـــد شبع من ايامه. فكلهم سيكونون اولادا وشبابا... ويشفي الرب كل عباده... سينهضون ليروا سلاما عظيما ويطردوا اعداءهم. عظام (الابرار) ستستريح في الارض، فيما تتمتع ارواحهم بفرح عظيم***" (٢٣:٢٦-٣١). فبموجب هذا التيار الفكري، لا مكان لقيامة الاجساد.

الرجاء بالقيامة

في سلسلة اخرى من النصوص، تنتمي ولا شك الى لاهوت مضاد، نجد بالعكس تأكيدا واضحا على الرجاء بيوم القيامة. ففي سفر "***حياة ادم وحواء***" (اليوناني)، وفي اعقاب وفـــاة والدينا الاولين نقرأ: "***ونادى الله ادم وقال لـــه: آدم، آدم! فأجاب الجسد من تحت الارض: هاءنذا يا رب. فقال له الله: قد قلتُ بأنك تراب وانك ستعود الـــى التراب؛ ومن جديد أعدك (الآن) بالقيامة، مع كل جنس البشر الذي خرج من زرعك***" (٤١).

وهكذا نجد ان القيامة موعود بها، وانها تخص كل البشر. الا انها لـــن تتـــم الا في نهاية الازمنة، بموجب مـــا قيل لحواء: "***وهكذا ستؤدين الواجبات الجنائزية لكل كائن بشري توافيه المنية، وذلك حتى يوم القيامة***" (٤٣).

مصير البشر بعد الموت

في منطق "***كتاب عزرا الرابع***" نجد الاعتقاد الكلاسيكي: "***تنسحب النفس من الجسد***

وتعود الى ذاك الذي وهبها، كي تسجد اولا لمجد العلي" (٧:٧٨). ولتفسير المكان الذي تحفظ فيه نفوس الموتى، يعطي "*كتاب رحلات اخنوخ*" وصفا يوحي "بمستودع نفوس": "*وارائي (الملاك) من جهة الغرب جبلا آخر.. وكانت هناك اربعة سراديب عميقة وملساء. ثلاثة منها كانت مظلمة والاخرى منيرة، وفي وسط هذه الاخيرة كان هناك ينبوع ماء، فقلت: لماذا هذه السراديب ملساء وعميقة وذات منظر مظلم؟ حينئذ اجابني رافائيل: هذه السراديب (خلقت) لكي تجتمع فيها ارواح نفوس الموتى... وهذه الاماكن جعلت لحفظها حتى يوم دينونتها*" (٢٢:١-٤).

وفي انتظار الدينونة، يكون قد تم فصل هذه النفوس المحتجزة: فكل سرداب يحتوي على فصيل من الارواح. الابرار يضمهم ولا ريب السرداب المنير بالقرب من الينبوع. ونجد هذا الفصل بين الابرار والخطأة في مثل لعازر والغني (لوقا ١٦:١٥).

القيامة العامة

وبموجب "**امثال اخنوخ**" هناك، اولا، في اخر الازمنة، قيامة الموتى: "*وفي تلك الايام سيرد شيئول ما تلقاه، وستعيد المنازل السفلى ما هي مدينة بـه*" (٥١:١). وتوضح "**رؤيا باروك**" (السريانية) بان الكل سيعودون حينذاك الى الارض بجانب اولئك الذين ما زالوا احياء: "*فلا بد من الكشف للاحياء عن كون الموتى يحيون، وعن كون الذين رحلوا يأتون (يعودون)... وحينئذ تبدأ الدينونة، وستتم كل الاحداث التي انبيء بها*" (٥٠:٣-٤).

اما وصف الدينونة، فيبدو متباينا قليلاً بحسب الكتب: ففي "**كتاب عزرا الرابع**"، هناك تأكيد على ان كل واحد سيقدم حسابا عن اعماله: "*ان يوم الدينونة حاسم اذ يكشف للكل عن ختم الحقيقة... ولن يكون بمقدور احد ان يشفع لغيره. وهكذا سيحمل كل واحد مظالمه كما سيحمل مبراته*" (٧:١٠٤-١٠٥).

اما بالنسبة الى "**امثال اخنوخ**"، فان الدينونة ستكشف عن انتصار المختارين ضد مضطهديهم: "*في تلك الايام، سيكون مُنكَّسًا وجه ملوك الارض والاقوياء الذين يملكون (الارض) القاحلة، وذلك بسبب عمل ايديهم؛ لذا ففي يوم كبتهم وحزنهم لن يخلصوا. واني سأسلمهم الى ايدي مختاريّ... وامامهم (الابرار) سيسقطون ولن ينهضوا من بعد؛ ولن يكون هناك احد ليمد اليهم يدا فينهضهم*" (٤٨:٨-١٠).

والمؤلف نفسه يعبر عن التغيير الجذري الذي سيطرأ على السماء والارض: "*في تلك الايام ستقفز الجبال كالغزلان، وستنهض التلال كالحملان المشبعة من الحليب، وسيصبح الكل (الابرار) ملائكة في السماء*" (٤٥:٤). وبعين الخط توضح "**رؤيا باروك**" (السريانية) بان المختارين سيتحولون: "*وسيتبدل منظر وجههم الى جمال بهي ليتسنى لهم ان يحصلوا على العالم (الجديد) ويقبلوه، وهو العالم الذي لا نهاية له، وقد وُعدوا به*" (٥١:٣).

في انتظار الدينونة يكون قد تم فصل النفوس المحتجزة

مارك ديبريك

يسوع امام الموت
وما وراء الموت

تنقل الينا الاناجيل الازائية بان يسوع، وعلى ثلاث دفعات، اعلن لتلاميذه عن موته وقيامته: "ان ابن الانسان يجب عليه ان يعاني الاما شديدة، وان يرذله الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، وان يقتل، وان يقوم بعد ثلاثة ايام" (مرقس٨:٣١). هل ينبغي ان نعتبر ذلك من اختراع الجماعات المسيحية؟ لا نظن.

يسوع يصلي في الجتسمانية
بريشة كورتيا دي فيفار – ١٥٣٥ / متحف برادو – مدريد

يسوع ازاء موته

منذ بدء الاناجيل تبدو نهاية يسوع المأساوية أمراً لا مناص منه، نظراً الى مواقفه تجاه الشريعة والسبت (مرقس ٢:٢٣-٦:٣)، وبسبب الاتهامات بالسحر الموجهة اليه (مرقس٣:٢٢-٣٠). يشارك يسوع مواطنيه قناعتهم بان اسرائيل، "**منذ هابيل وحتى زكريا**" ما زال يقتل انبياءه! (لوقا١١:٤٩-٥١) وبأنه "**لا يمكن لنبي ان يهلك خارج اورشليم**" (لوقا١٣:٣٣)! ان الصيغة الاكثر قِدَماً من بين الانباءات الثلاثة عن الالام تبدو على الارجح تلك التي ترد في لوقا ٩:٤٤: "**ان ابن الانسان سيسلم الى ايدي الناس**". وما توقيف يوحنا المعمذان وموته الا ليرسّخا يسوع في هذا اليقين.

هذا الموت، لم يبحث عنه يسوع، بل كان يخشاه، ولَكَم استغاث بالآب كي يبعد عنه هذه الكاس (مرقس١٤:٣٦). فازاء الخطر المحدق اخذه الجَهد... "**وصار عرقه كقطرات دم**"، ولكنه في الوقت ذاته كان يصلي: "**لا مشيئتي بل مشيئتك**" (لوقا٢٢:٤٢-٤٤). وعلى الصليب وضع الانجيليون على لسانه مقتطفات من المزامير (المزمور ٢٢ لدى مرقس ١٥:٣٤ والمزمور ٣١ لدى لوقا٢٣:٤٦)، وهي نداءات استغاثة تنبعث من قلب ابرار مضطهَدين، وهي في الوقت ذاته صراخات ثقة بالله. فالرجل الجليلي يموت ميتة ظالمة، ولكنه يسلم ذاته كليا بين يدي الله.

كلمات يسوع بصدد ما وراء الموت

كيف كان يسوع يتصور ما وراء الموت؟ ماذا قال بهذا الشأن؟ لقد كان الانجيليون قليلي

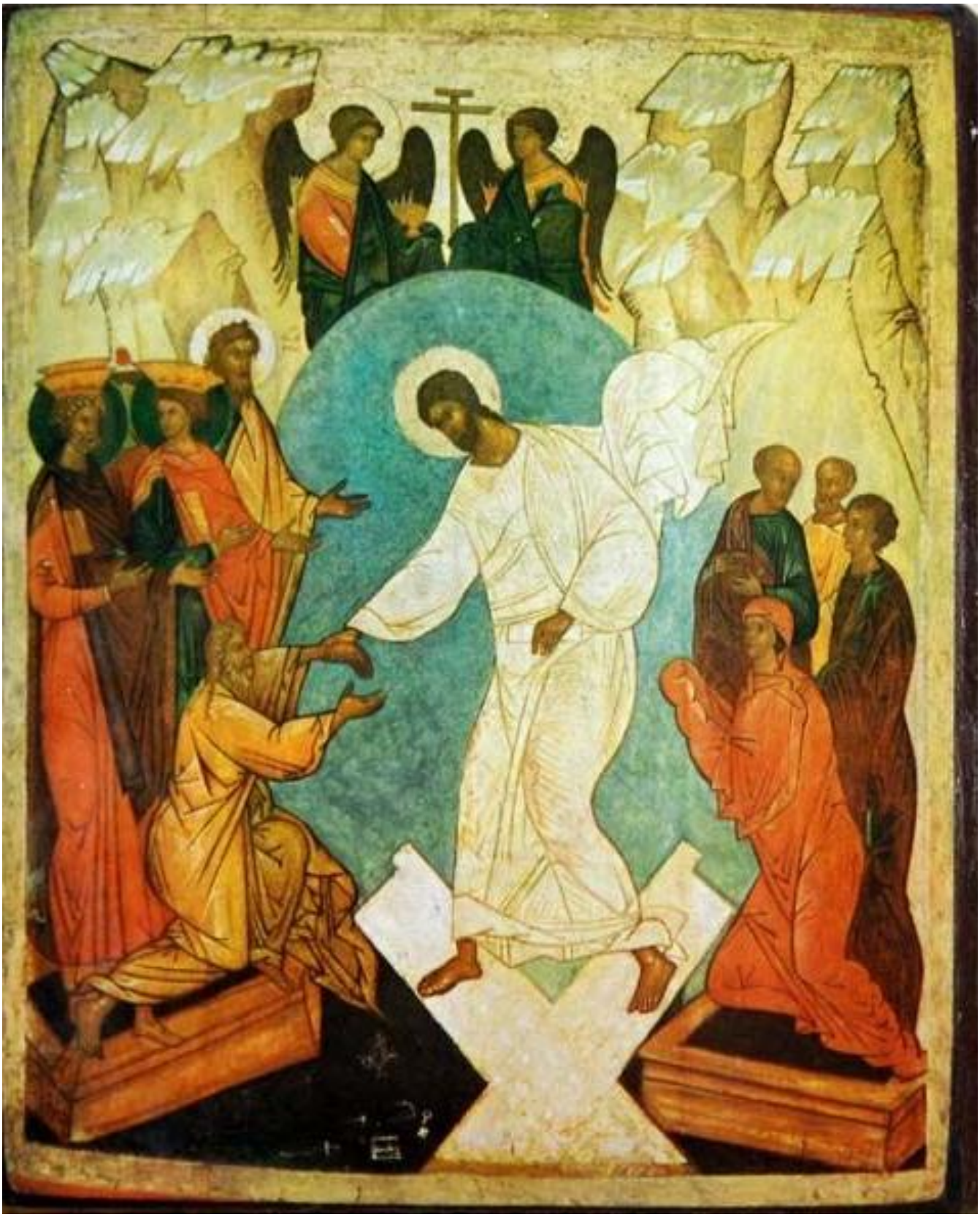

النزول الى الجحيم (ايقونة روسية)
بريشة بول افدوكيموف

نحن بازاء المسيح الممجد بحلته البيضاء الناصعة، وبحريته التي لم يقو عليها الموت... وفي يده ملف الاسفار المقدسة التي وجدت فيه اكتمالها. إنه نازل الى مثوى الاموات -وقد داست قدماه ابواب الجحيم- ليقيم الراقدين الذين اشرق عليهم نور الصليب... وها هو ينتشل آدم وحواء -رمز البشرية جمعاء- فيما يسرع كل الابرار الى استقباله.

الكلام عن هذا الموضوع. فمسالة ما وراء الموت لم تكن من المسائل الاولى التي تناولتها كرازة يسوع. فهو بشكل عام يتقاسم قناعات اهل زمانه ولغتهم، ولا سيما لغة الفريسيين الذين يؤمنون بقيامة الاموات.

والصدوقيون، لكي يسخروا من هذا الاعتقاد، ابتكروا تلك القصة الخيالية عن المرأة التي تموت دون اطفال، بعد ان تزوجت سبعة اخوة على التوالي، بموجب شريعة "السلفة" (شريعة اخي الزوج). فاغتنمها يسوع فرصة ليؤكد ايمانه الشخصي بالقيامة، وقد بنى هذا الايمان على نص من سفر تثنية الاشتراع، اي من التوراة، وهي القاعدة التي لم يكن بوسع الصدوقيين ان يعارضوها. ففي العالم الاتي، "**لا يمكن (للبشر) بعد ذلك ان يموتوا لانهم امثال الملائكة... فان اله ابراهيم واسحق ويعقوب... ليس اله اموات بل اله احياء، فهم جميعا عنده احياء**" (لوقا٢٠:٢٧-٤٠).

ومهما صفَّق لهذا الجواب كتبة، بينهم ولا شك فريسيون، فان برهان يسوع لا يبدو لنا في منتهى الوضوح! قد نفهم تخلي الله عن اولئك الذين هم في الشيئول.. ولكنه لا يسعه ان يتغاضى عن الاباء الذين عقد معهم عهدا، حينذاك تصبح امانته موضوع تساؤل. انه لا يتخلى عن احبائه، بل يمكّنهم من ان يكون لهم نصيب في عالم آت حيث ينتفي القلق على ديمومة الجنس البشري. ألم يقل سفر دانيال: اولئك الذين وُجدوا اهلا للدخول "**يضيئون كضياء الجلَد... كالكواكب ابد الدهور**" (دانيال١٢:٢-٣). انهم سيكونون على شبه الملائكة، يحيطون كالكواكب بعرش الله (راجع اعمال ١:٢٠). فالصدوقيون الذين "**يقولون بأنه لا قيامة ولا ملاك ولا روح**" (اعمال٢٣:٨) لم يقتنعوا قط بهذا البرهان!

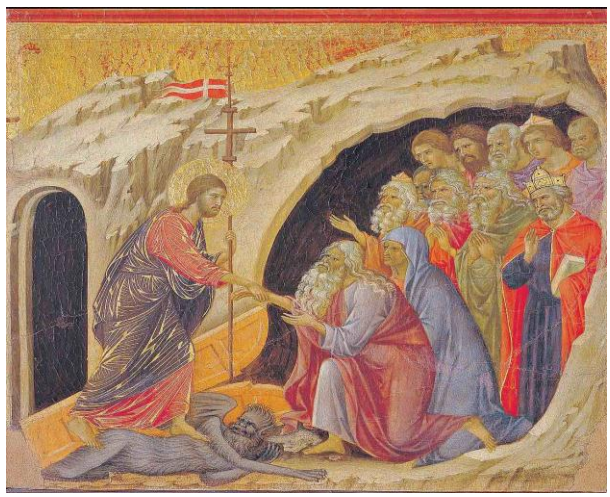

... انه لا يتخلى عن احبائه

الدينونة الاخيرة

ان مصير الفرد بعد موته سيتضح، بحسب انجيل متى، من خلال دينونة الله التي يجب ان ننظر اليها بعين الجد (متى١٠:٢٨)، وستتم في منتهى الازمان (متى٢٥:٣١-٤٦). اما بحسب لوقا، فيبدو ان مصير الانسان قد تحدد منذ موته. ففي مثل لعازر والغني (لوقا١٦:١٩-٣١)، نجد الرجلين في اوضاع نهائية، وبينهما "هوة عظيمة". ويبدو ان وليمة الازمنة الاخيرة قد ابتدأت طالما ان لعازر اتخذ مكان الشرف الى جانب ابراهيم!

مثل هذه التخيلات بشأن زمن الدينونة قد لا تكون بالتالي في محلها! فبحسب لوقا نرى يسوع يهتم بـ"اليوم" الذي فيه يتم ملك الله. ألم يأت ليفتتحه في مجمع الناصرة (لوقا٤:٢١)، وليعلنه في بيت زكا (١٩:٩)، وليبشر به احد رفيقيه في العذاب: "**اليوم تكون معي في الفردوس**" (لوقا ٢٣:٤٣). ان ملك الله سيأتي، وفي الوقت ذاته ها هوذا يُفتَتَح. فلاولئك الفريسيين الذين تساءلوا "**متى يأتي ملكوت الله**" ألم يقل يسوع: "**لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقَب... ان ملكوت الله بينكم**" (لوقا١٧:٢١).

جوزيف ستريكر

ازاء الموت، ما هو رجاء بولس؟

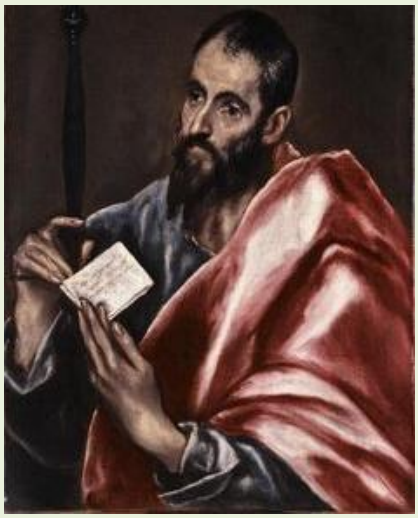

بولس، بريشة ال كريكو – طليطلة ، ١٦١٤

عاش بولس الرسول في خطر دائم: "جلدني اليهود خمس مرات اربعين جلدة الا واحدة؛ ضُربت بالعصي ثلاث مرات؛ رُجمتُ مرة واحدة؛ انكسرت بي السفينة ثلاث مرات؛ قضيت ليلة ونهاراً في عرض البحر" (٢ قورنثية ١١:٢٤-٢٥). فلقد خاطر بنفسه دون انقطاع للتبشير بالانجيل. كما انه واجه الموت مراراً عديدة بسبب المعارضة العنيفة التي لقيها او بسبب النظام القائم. فازاء الموت ما هو رجاؤه؟

ثقة وطيدة باله الاحياء

لاقى القديس بولس محنا كثيرة كهذه المحنة التي يُحتَمل أنها جرت في افسس: "...**الشدة التي ألمت بنا في اسيا (الصغرى) ثقلت علينا وجاوزت طاقتنا حتى يئسنا من الحياة نفسها، بل احسسنا انه قضي علينا بالموت، لئلا نتكل على انفسنا بل على الله الذي يقيم الاموات، فهو الذي انقذنا من امثال هـذا الموت وسينقذنا منه**" (٢قورنثية ١:٨-١٠). هذا الرجاء، يُعبَّر عنه في صورة "بيت"، اكثر ثباتا، سيعطى لهذا الرسول المتجول، صانع الخيام: "**نحن نعلم انه اذا هُدم بيتنا الارضي، وما هو الا خيمة، فلنا في السموات مسكن من صنع الله، بيت ابدي لم تصنعه الايدي**" (٢قورنثية٥:١).

عبور من الموت الى الحياة

المحن، الضعف، التهديد بالموت. امور ليست غريبة عن سر القيامة الذي يبشر به بولس: فهو يعيش كل ذلك بمثابة عبور من الموت الى الحياة، في إثر يسوع: "**هذا الكنز نحمله في آنية من خزف، لتكون تلك القدرة الفائقة لله لا من عندنا. يُضيَّق علينا من كل جهة ولا نُحَطَّم، نقع في المآزق ولا نعجز عن الخروج منها؛ نُطارَد ولا نُدرَك؛ نُصرَع ولا نُهلك؛ نحمل في اجسادنا كل حين موت يسوع لتظهر في اجسادنا حياة المسيح ايضاً**" (٢ قورنثية٤:٧-١١). فهناك، اذن، صلة وثيقة بين الحياة هنا على الارض وبين الحياة هناك في الاعلى: فبعين الحركة ينتقل بولس من الواحدة الى الاخرى، متمثلاً، شيئاً فشيئاً، بيسوع المصلوب/الناهض.

طريق يعاش في الايمان

يتأصل رجاء بولس كلياً في خبرته بيسوع الناهض، على طريق دمشق: ثقته بالمسيح هي وحدها مكّنته من تجاوز المحن وعبور الموت في

بولس

يعلن اول قانون ايمان بقيامة المسيح

(١ قورنتس ١٥)

آ٣-٤

سَلَّمتُ إِلَيكم قبلَ كُلِّ شيَء ما تَسَلَّمتُه أَنا أَيضًا، وهو أَنَّ المسيحَ ماتَ مِن أَجْلِ خَطايانا كما وَرَدَ في الكُتُب، ٤ وأَنَّه قُبِرَ وقامَ في اليَومِ الثَّالِثِ كما وَرَدَ في الكُتُب (...)

آ١٢-٢٨

فإذا أُعلِنَ أَنَّ المسيحَ قامَ مِن بَينِ الأَموات، فكَيفَ يَقولُ بَعضُكُم إِنَّه لا قِيامةَ لِلأَموات؟ فإِن لم يَكُنْ لِلأَمواتِ مِن قِيامة، فإِنَّ المسيحَ لم يَقُمْ أَيضًا. وإِن كانَ المسيحُ لم يَقُمْ، فَتَبشيرُنا باطِلٌ وإِيمانُكُم أَيضًا باطِل. بل نَكونُ عِندَئِذٍ شُهودَ زُورٍ على الله، لأَنَّنا شَهِدْنا على الله أَنَّه قد أَقامَ المسيح وهو لم يُقِمْه، هذا إِن صَحَّ أَنَّ الأَمواتَ لا يَقومون. فإِذاكانَ الأَمواتُ لا يَقومون، فالمسيحُ لم يَقُمْ أَيضًا. وإِذا لم يَكُنِ المسيحُ قد قام، فإِيمانُكم باطِل ولا تَزالونَ بِخَطاياكم، وإِذا فالَّذينَ ماتوا في المسيح قد هَلَكوا . وإِذا كانَ رَجاؤُنا في المسيح مَقصورًا على هذهِ الحَياة، فنَحنُ أَحقُّ جَميعِ النَّاسِ بِأَن يُرْثى لَهم. كَلاَّ! إِنَّ المسيحَ قد قامَ مِن بَينِ الأَموات وهو بِكرُ الَّذينَ ماتوا. عَن يَدِ إِنسان أَتى المَوتُ فعَن يَدِ إِنسانٍ أَيضاً تَكونُ قِيامةُ الأَموات، وكما يَموتُ جَميعُ النَّاسِ في آدم فكذلك سيُحيَونَ جَميعًا في المسيح، كُلٌّ واحِدٍ ورُتْبَتُه. فالبكرُ أَوَّلاً وهو المَسيح، ثُمَّ الَّذينَ يَكونونَ خاصَّةَ المسيح عِندَ مَجيئِه. ثُمَّ يَكونُ المُنتَهى حِينَ يُسَلِّمُ المُلْكَ إِلى الله الآب بَعدَ أَن يَكونَ قد أَبادَ كُلَّ رِئاسةٍ وسُلطانٍ وقُوَّة . فلا بُدَّ لَه أَن يَملِكَ ((حتَّى يَجعَلَ جَميعَ أَعدائِه تَحتَ قَدَمَيه)). وآخِرُ عَدُوٍّ يُبيدُه هو المَوت، لأَنَّهُ ((أَخضَعَ كُلَّ شَيءٍ تَحتَ قَدَمَيه)). وعِندَما يَقول : ((قد أُخضِعَ كُلُّ شَيء))، فمِنَ الواضِحِ أَنَّه يَستَثْني الَّذي أَخضَعَ لَه كُلَّ شَيء. ومتى أُخضِعَ لَه كُلُّ شَيء، فحينَئِذٍ يَخضَعُ الابْنُ نَفْسُه لِذاكَ الَّذي أَخضَعَ لَه كُلَّ شيَء، لِيَكونَ اللّهُ كُلَّ شَيءٍ في كُلِّ شيَء.

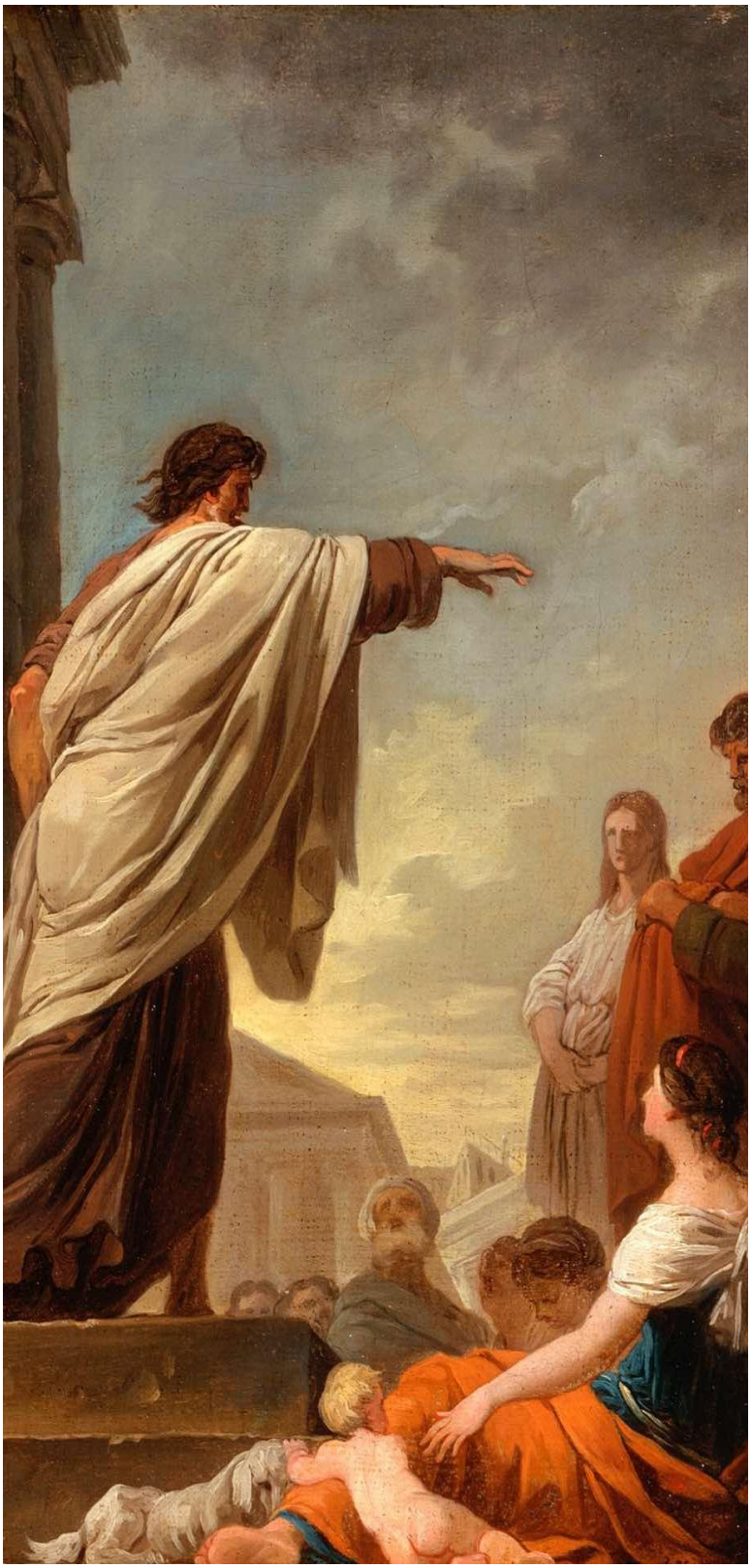

القديس بولس يبشر بقيامة المسيح...
بريشة الفنان الفلامندي جوزف بنواسوني - ١٧٨١

قيامة المسيح بريشة ايرهارد التدورفر - ١٥١٨

إثره. وهنا يكمن النجاح العميق في عمله: "... **ما كان في كل ذلك من ربح لي عددته خسراناً من اجل المسيح. بل اعدّ كل شيء خسراناً من اجل المعرفة السامية، معرفة يسوع المسيح ربي... فاعرفه واعرف قوة قيامته والمشاركة في آلامه، فاتمثل به في موته، لعلّي ابلغ القيامة من بين الاموات**" (فيلبي٣:٧-٨، ١٠-١١).

اختبار الموت مع المسيح للعيش من حياته! ذلك هو معنى العماذ المسيحي الذي يطبع كل مؤمن يتتلمذ ليسوع. فليس ماء العماذ اولاً، كما يُخيَّل الينا بسهولة، رمز حياة، وانما: "**أوَ تجهلون اننا، وقد اعتمذنا جميعاً في يسوع المسيح، انما اعتمذنا في موته، فدُفنّا معه في موته بالمعموذية لنحيا نحن ايضاً حياة جديدة كما أُقيم المسيح من بين الاموات بمجد الاب؟**" (رومية٦:٤-٥).

كيف يتحدث بولس عن القيامة؟

يربط بولس بشكل وثيق، كما راينا اعلاه، ما بين مصير اهل زمانه وحياته الخاصة بعد الموت، وبين قيامة يسوع. ويعبِّر عن ذلك من جديد، وبقوة: "**فاذا أُعلن ان المسيح قام من بين الاموات، فكيف يقول بعضكم انه لا قيامة للاموات؟**" (١ قورنثية١٥:١٢). وفيما يلي من النص، يحاول ايضاً ان يشرح كيف ان الموتى يقومون. فالصورة الاولى التي يستخدمها هي صورة الحبة التي تصبح زرعاً: "**فما تزرعه هو غير الجسم الذي سوف يكون، ولكنه مجرد حبة من الحنطة مثلاً او غيرها من البذور... وهذا شأن قيامة الاموات: يكون زرع الجسم بفساد والقيامة بغير فساد. يكون زرع الجسم بهوان والقيامة بمجد. يكون زرع الجسم بضعف والقيامة بقوة**" (١قورنثية ١٥:٣٧، ٤٢-٤٣).

ومن ثم، هوذا حدث القيامة ذاته قد وُضع على المسرح. فبولس، في حديثه عنه، يستعيد صور الرؤى اليهودية (راجع المقال اعلاه: المعتقدات اليهودية في زمن يسوع)، يقيناً منه بان مجيء الرب سيتم وهو على قيد الحياة: "... **لا نموت جميعاً، بل نتبدل جميعاً، في لحظة وطرفة عين، عند النفخ في البوق الاخير. لانه سيُنفخ بالبوق فيقوم الاموات غير فاسدين، ونحن نتبدّل**" (١٥:٥١-٥٢). وهكذا يتضح ان اليقين الراسخ لدى الرسول بولس: الموت غُلب منذ قيامة يسوع (١٥:٥٥). ومنذئذ لا يمكن للخوف ان يسكن قلب المؤمن، بل تحل محله الثقة حتى حين يخاطر المؤمن بحياته من اجل التبشير بالانجيل.

مارك ديبريك

ماذا عن استعادة الجسد مجددًا؟

يخيل الينا ان الاعتقاد بـ"التجسد الجديد" (réincarnation) قد يحل محل المعتقدات المسيحية التقليدية التي ترعرعت ونشأت في الحضارة العصرية؟ فهل "التجسد الجديد" صيغة جديدة لرجاء مسيحي مؤسس على خلود النفس؟ ام انه يتعارض مع الايمان بالقيامة؟

تبدو الكنائس المسيحية مُحرَجَة احياناً ازاء الحديث التقليدي عن الموت ومصير الموتى. والصور الكتابية، سيما اذا أُخذت بحرفيتها –وقد تحولت طيلة اجيال وتحت انظار المؤمنين، الى رسوم وتماثيل (مشاهد الدينونة وجهنم والفردوس)– جعلت هذا الحديث يبدو مختلفاً وغير جدير بالتصديق، إن لم نقل مضحكاً في نظر الحضارة العصرية. ذلك لانه كان مجبولاً من الصور الاسطورية والرمزية التي لم يتم اعادة تفسيرها بشكل كاف –وقد يكون ذلك بدافع من "الامانة" للتقليد الذي يبدو وكأنه تكرار كسول.

براهين لدعم الشوق الى الحياة

ان الاعتقادات بـ"تجسد جديد" كثيرة ومتنوعة: فمنذ افلاطون، مروراً بالبوذية والهندوسية، وحتى القرن العشرين: هناك مناجاة الارواح ومظاهر الحكمة الالهية... وكلها تتفق في التصور بان بوسع نفس الميت ان تحصل على وجود جديد في جسد اخر. وتكاد البراهين تكون هي ذاتها طيلة اجيال: هناك اشخاص يؤكدون تعرُّفَهم على اماكن وعلى اناس، او يعلنون انهم حصلوا على معارف (لغة اجنبية مثلاً) بشكل لا يفسَّر!

وهناك اشخاص اخرون تتجلى فيهم سمات طبيعية او عقلية يماثلون بها اشخاصاً من الماضي، وقد نجدنا بازاء تكهنات او سمات فيزيائية ذات صلة بالطريقة التي توفي بها اولئك الاشخاص من الماضي!

واليوم، قد يجد هؤلاء الذين سحرهم هذا الاعتقاد –وهو الذي غالباً ما يلفه الغموض– ما يتيح لهم التصور بان هناك عدالة تُوطَّد، سيما حين يوجدون بازاء واقع قاسٍ، كموت شاب او طفل. وقد يتساءل غيرهم –ويعبّر تساؤلهم عن إرث

مشوّه للايمان المسيحي- لماذا لا يعطى لخاطئ كبير وجود جديد يتاح له فيه ان يحقق خلاصه؟! وقد يتيح "التجسد الجديد" بالتالي الاعتقاد بان الموت ليس نهايـــة لا رجعـــة فيها: وهكـــذا يسعى هذا الاعتقاد الى ارجاع حدود الموت الى الوراء او إلى انكار هذه الحدود، طالما انـــه يفتح دون انقطاع مجالاً جديداً للحياة، هـــو مجال مجهول ومألوف في آن واحد. وهكذا يعبّر هـــذا الاعتقاد عن رغبة عارمة في الحياة، وعن رفض عميق -قد يكون خوفاً عظيماً؟- لفكرة انعدام الوجود.

"التجسد الجديد" والقيامة

لقد حـــاول البعض ان يجد في الكتاب المقدس ادلة على هذا الاعتقاد، كمثل ذاك الحوار المعـــروف بين يسوع وتلاميذه: "**مَن هـــو ابن الانسان في قول الناس؟ -بعضهم يقول: هو يوحنا المعمذان؛ وبعضهم الاخر يقول: هو ايليا؛ وغيرهم يقول: هو ارميا او احد الانبياء**" (متى١٦:١٣-١٤). او في حديث ما بعد التجلي: "**ان ايليا آت وسيصلح كل شيء... ايليا قد اتى... بـــل صنعوا بـــه كـــل مـــا ارادوا**" (متى١٧:١٢). ومن هنا أُستُخرجَت هذه النتيجة: ان ايليا "تجسد" مجدداً في يوحنا المعمذان!

يستخدم العهد الجديد، بالعكس، عبارات مختلفة بشأن الموت وما وراء الموت تنفي كلها احتمال اي "تجسد جديد". وسواء هنـــا على الارض أم في اي مكان اخر، فان حقيقة وضعنا البشري تتجلى في المسيح الذي مات وقام: "**كما انه كتب على الناس ان يموتوا مرة واحدة، وبعد ذلك يوم الدينونة، فكذلك المسيح قُرِّب مـــرة واحـــدة ليزيل خطايا جماعة الناس**" (عبرانيين ٩:٢٧-٢٨). فقيامة المسيح تعرض إذن بعداً مختلفاً كلياً عن فكرة "التجسد الجديد".

المعنى الكتابي للجسد

"*ان معتقد (التجســـد الجديـــد) ينادي بامكانية حياة جديدة بعد الموت، وذلك عبر هجرة النفس واستقرارها في اجساد اخرى. وهكذا يجعل هذا المعتقد من الجسد مجرد اناء مؤقت، كما يجعل الحياة الفردية مبتذلة ويترع عنها قيمتها الفريدة: تلك القيمة اللامتناهية التي منحها الله. انه ينفي قيامة الجسد، كما ينفي واقع الغفران، طالما ان احدى مقوماته هي في تطهيرنا من الحياة السابقة*" (تعليـــم مسيحـــي للبالغين/ اساقفـــة فرنســـا، رقم ٦٤٣).

وراء الاعتقاد بـــ"التجسد الجديد" يختفي ويتواصل ذلك الاحتقار القديم للجسد في المفاهيم اليونانية والشرقية. ألم تقل الحكمة الهندية (بهاكافاد جيتا): "كمـــا نلقي الملابس البالية لنلبس اخرى جديدة، هكذا النفس المتجسدة تلقي عنها الاجساد البالية لتلبس اجساداً جديدة"! وعلى العكس من ذلك، فان الجسد في الكتاب المقدس لا ينفصل عن كل شخص مخلوق على صورة الله؛ والافضل من ذلك، هو حين يصبح الجسد، في نظر المؤمـــن، "**عضواً للمسيح**" و "**هيكـــل الـــروح القدس**" (١قورنثية ٦:١٥، ١٩). وهكذا يتبين ان الحديث المسيحي عن خلود النفس، والذي يحجّم الجسد، يرجع الى الفلاسفة اكثر منه الى الكتاب المقدس. فالمسيح قـــام بجسده، اي بكل كيانه: وشهادات الاناجيل تلح على ابراز هذا الجسد الذي طبعته جراحات الصليب، هذا الجسد الممجّد الذي هو الخلية الاولى للعالم الجديد.

فيليب كريزون

فرق بيبلية

موت لعازر

يمكن لموضوع هذا الملف ان يُطرح انطلاقا من رواية اقامة لعازر في انجيل يوحنا. انها "الآية" السابعة والاخيرة التي تختم "كتاب الآيات" (يوحنا ١-١٢): اي موت يسوع وقيامته.

والمناقشة، يمكنها ان تنطلق من ملاحظة الرواية من وجهة نظر معينة: تعليم مسيحي بشأن "الحزن على فقيد" كيف يعيشه المسيحيون في الجماعات اليوحنانية. ففي هذه الرواية نرى ان محدّثي يسوع هما مرتا ومريم وليس لعازر. ومن بين الاختين تبدو مرتا (وليس مريم، كما في لوقا ١٠:٣٨-٤٢) هي التي تجسّد الايمان النموذجي. علما بان لكل النساء في الانجيل الرابع ادواراً ايجابية ويبدون في علاقة جيدة مع يسوع.

بعض الخطوات للتفكير:

- ما هي علاقة يسوع مع لعازر وأختيه؟ لماذا بكى يسوع؟
- يسوع لم يمنع لعازر من الموت (آ١٤-١٥). لماذا تأخر الى هذا الحد في الوصول؟
- قارنوا بين كلمات الاختين ومواقفهما وعلاقاتهما: الى مَ ترمز كل منهما؟
- لماذا يكشف يسوع عن كونه "القيامة والحياة"، وقبل ان يجري "آية" إقامة لعازر؟
- لا تنتهي الرواية بالتركيز على شخص لعازر العائد الى الحياة؛ ما معنى هذا الصمت؟ وما هو الدور الذي سيلعبه من ثم (١٢:١-٢، ٩-١١)؟
- كيف يوحي لعازر الخارج من القبر بيسوع الناهض (يوحنا ٢٠). سجلوا نقاط التشابه والاختلاف.
- إكتشفوا تأكيدات يسوع القائم الذي ينقلنا منذ الآن من الموت الى الحياة: ماذا يعني الموت للمسيحيين؟

يسوع يصل دائما متأخرا، حين يموت اصدقاؤه!

يحيلنا هذا الملف إلى مقال الآن مرشدور بعنوان "صمت لعازر" في الملف عن انجيل يوحنا (رقم ١٩ في الطبعة العربية). وإيينا نحن ان نضيف إلى الصفحة مقطعاً للمؤلف ذاته في كتاب "الموت والحياة في الكتاب المقدس"/ سلسلة دراسات في الكتاب المقدس - رقم ١٠ (الناشر)

- تأخُّر يسوع: لا يفسَّر هذا التأخر في النص، لانه غير قابل للتفسير. حين اتت اختا لعازر لإخبار يسوع، كان "في عبر الاردن"، ولم يكن هذا "العبر" جغرافيا فقط! ثم انه، بعد ان علم بالامر، "لبث في مكانه يومين"، مع انه كان يحبه. ان تتمة الرواية، بما فيها من توقفات يسوع المتتالية، تزيد في هذا التباطؤ الذي لا يطاق والذي يبدو حجر عثرة، لا في منطق الرواية فقط، بل في الاختبار اليومي الذي يعيشه المسيحيون في جماعة يوحنا: كان يسوع يحبهم، كما يحب لعازر، ومع ذلك يتأخر دائما في وصوله!
- مكان الوحي: مما يسترعي الانتباه ان نلاحظ ان الوحي لا يزامن المعجزة، بل يسبقها. فالجوهر تّم في الحوار الذي قام بين مرتا ويسوع (الآيات ٢٠-٢٧)، قبل ان تُجرى المعجزة.

آلان مرشدور

(من كتاب "الموت والحياة في الكتاب المقدس"/ص٥٤)

نعلم كم ان للملك داؤد من اهمية في تفكير المؤمنين الذين يتحدثون في الكتاب المقدس او الذين يتأملونه. فالروايات الكتابية تتوسع بنوع خاص بشأن ارتقائه المذهل حين كان يحالفه النجاح في كل امر، كما بشأن سنواته الاخيرة التي كانت بالاحرى سوداء حين راح ابناؤه يتنازعون الخلافة.

ففي الشطر الثاني من ملحمة داؤد، حيث تروى الحيل بشأن خلافته، تحكي الرواية قصة موت ابناء داؤد الثلاثة، وتتوقف لدى ردود فعله الشخصية. ها نحن بازاء ثلاث حالات شاذة: موت مولود جديد، قتلٌ بدافع الانتقام، وموت في المعركة. ونتساءل: كيف ينظر الى الموت اولئك الذين كتبوا هذه النصوص؟ هل كانت مسالة ما وراء الموت مطروحة عليهم؟ اليكم بعض الافكار كي يتسنى لكم ان تتفحصوها في هذا المنظار.

موت طفل (٢صموئيل ١٢:١٥-٢٤)

هذا الطفل هو ثمرة حب اثيم بين داؤد وبتشابع. وما موته سوى عقاب لجريمة داؤد. الم يرسل اوريا، زوج بتشابع، الى الخطوط الامامية من المعركة كي يتخلص منه ويأخذ امرأته؟

- لماذا هذه الرواية بشأن هذا الطفل مثيرة للشكوك؟ كيف تُطرح مسالة الموت هنا؟
- ما هو الهدف الرئيس لهذا النص: رواية موت بريء؟ ام الحديث عن داؤد الذي، بعد ان دفع ثمن خطيئته، يستعيد حقوقه، ويصبح سليمان، الابن الثاني من هذا الزواج، ابناً شرعياً.

موت امنون (٢ صموئيل ١٣:٢١-٣٩)

تأثر داؤد كثيراً لموت ابنه البكر امنون: لقد قتله احد ابناء داؤد الاخرين، ابشالوم، لينتقم لاخته ثامار التي اغتصبها امنون (١٣:١-٢٢).

- اية صورة يعكس داؤد عن نفسه في هذا الانتقام المأساوي بين ولديه؟ هل هو بالدرجة الاولى والد ام ملك؟ ما هي فاعليته كي يجعل الحق والعدل يستتبان في اسرته الخاصة؟
- اي مفهوم عن الموت يرتسم وراء هذه الرواية؟ (انظر ٢صموئيل ١٤:١٤). السنا بازاء قدر يجب ان نخضع له؟ الا تذكّر هذه الرواية برواية شهيرة اخرى: مقتل هابيل. وفي تتمة قصة خلافة داؤد سنجد رواية قتل اخرى (١ ملوك٢:١٢-٢٥).

موت ابشالوم (٢ صموئيل١٨:١٩-٩:١٩)

ثار ابشالوم على ابيه في شيخوخته وارغمه على ترك اورشليم. وسرعان ما اشتعلت حرب بين جيش الاب وجيش الابن. وهوذا داؤد يبدو اكثر قلقاً على ابنه مما على نجاح المعركة (٢صموئيل١٨:٥). وتحول ظفر جيش داؤد الى رثاء جنائزي حين أُعلن عن مقتل ابشالوم.

- ما هو السؤال الذي يردده داؤد حين سمع بخبر الانتصار (١٨:٢٩-٣٢). وهل كان رد فعله، بصفته اباً ام ملكاً؟
- هل كان موت ابشالوم في الواقع بسبب الحرب؟ كيف تتحدث هذه الرواية عن الموت؟

ثمن الحياة

على ثلاث دفعات، وعلى مدى قصير، نجد خاتمة الروايات بشأن داؤد تتوقف عند موت ثلاثة من ابنائه. لماذا؟ ولماذا يتوقف المؤلفون كثيرا على ردود فعل داؤد؟ لقد كان ناثان النبي قد وعد داؤد بـــ"بيت": وهوذا ابناؤه يختفون الواحد بعد الاخر. وكان بالامكان تلافي مثل هذا الموت الثلاثي. ومن اين جاءت تلك العداوة الشرسة ما بين ابناء داؤد، وكلهم اشقّاء؟ ما هو الدرس الذي يُستَخرج؟

لم يُذكَر الموت في هذه الروايات في حد ذاته: فهو انما يأتي في منطق الاحداث. كان على الاب ان يختبر هذا الواقع المرير عبر الدموع وطقوس الحزن. ولا اثر لآفاق ما بعد الموت. لا بل كانت هناك مسافة طويلة تفصل عن الايمان بالقيامة. ولكن، وقبل ان يقبل المرء بهذا الايمان ويعلن ثقته به، الا ينبغي البدء بمواجهة الموت في حد ذاته، وبشكل جاد؟ وقد كان الم داؤد دعوة مباشرة الى ذلك.

يوجه بولس الى مسيحي تسالونيقي، في مقدونيا، احدى اقدم رسائله، وهي بالتالي اولى الكتابات المسيحية. بولس يتحدث فيها عن مجيء الرب في اخر الازمان. وحينذاك ما هو مصير الذين ماتوا سابقاً؟ وماذا عن الاحياء الباقين الى ذلك الحين؟ تساؤلات حيوية لاهل تسالونيقي ولبولس ذاته الذي كان يظن ان مجيء الرب قريب.

١. قراءة نبيهة لـ (١ تسالونيقي ٤:١٣-١٨)

اقرأوا هذا النص القصير بصوت عال، وعلى دفعتين! ركزوا انتباهكم على الشخوص: الله، يسوع او الرب او المسيح، الاموات والاحياء. من يفعل؟ وماذا يفعل؟ من هو الشخص الفعال؟ ومن هو الشخص السلبي؟ رددوا الافعال المستخدمة: ما هو زمن هذه الافعال؟ وما هي صيغة هذه الافعال؟ اصنعوا حقلين وسجّلوا ما هو متوازٍ بين: ما يفعله (او سيفعله) الاحياء، وما يفعله (او سيفعله) الاموات.

٢. ايمان بولس

لتسهيل القراءة نقترح عليكم ان تراقبوا جيداً بقية هذا النص:

- آية ١٣: تطرح الدافع من تدخل بولس: فلقد كان اهل تسالونيقي قلقين اثر وفاة عدة اخوة، ومن هنا جاء سؤالهم: المسيحيون الذين سبق ان ماتوا، الا يكونون قد تخلفوا عن مجيء الرب؟
- آية ١٤-١٥: ويجيب بولس عبر تأكيدين: فالجواب الاول يستند الى الايمان المسيحي بقيامة الاموات (آية١٤)، والجواب الثاني يستند إلى تعليم من الرب (آية١٥).
- الآية ١٦-١٧: بولس يتوسع في التعليم بشأن مجيء الرب على مرحلتين: راقبوهما (الآيتين١٦ و ١٧).
- الآية ١٨: كلمات تشجيع تجيب الى القلق المعبَّر عنه في الآية ١٣.

٣. من اجل فهم مضمون رسالة بولس

يؤسس بولس رجاءه على عودة الرب القريبة: العودة الاخيرة. وعلى غرار كل مسيحيي زمانه، يؤمن بولس بان المسيح سيأتي قبل ان يموت هو، ولهذا السبب نراه يشدد عزائم المؤمنين كي لا يحزنوا كالآخرين.

الآية ١٣ تترجمها معظم ترجمات الكتاب المقدس بـ"مصير الاموات"، بينما كتب بولس باليونانية يقول: "مصير الراقدين"، طالما ان الموت هو في نظر اليهود بمثابة رقاد، والقيامة بمثابة يقظة (...)

وبوسعكم ان تتحققوا من ترابط الحقبات الثلاث:

- هناك اولاً مجيء الرب (آية١٦): فالمبادرة هي له. لاحظوا كيف كان المسيحيون الاولون يتصورون العودة الاخيرة: العلامة، الاعلان، صوت رئيس الملائكة، النفخ في البوق... وهذه الصور مقتبسة من الرؤى اليهودية؛ -ومن ثم تتم قيامة الذين ماتوا في المسيح؛- واخيراً ارتقاء كل المؤمنين: الاحياء والاموات المنبعثين.

من اجل ذلك كان بوسع بولس ان يدعو الى الرجاء: فلا مكان للحزن طالما ان الجميع سيكونون مع المسيح، الاحياء كالاموات الذين سبقوا فرقدوا. وهذا الهتاف الارامي "**مارانا تا**" -وهو من نقل ليتورجي- يعني "يا ربنا تعال!": لا يعني "عد الى الارض"!، وانما "تعال سريعاً الينا وخلصنا من الدينونة التي تقترب"! انظر تسالونيقي ١ ١٠:١ (ش.بيرو).

٤. وللمزيد

"ما وراء الموت" كانت دوماً مسالة صعبة للمسيحيين الاولين، كما لليهود ولكل البشر: ماذا سيحدث بعد الموت؟ ان فكر بولس، وقد عرفنا مرحلته الاولى، سوف يتطور ويتوسع ويتوضح. المقال "ازاء الموت ما هو رجاء بولس" هو بمثابة امتداد لورقة العمل هذه، ولا سيما مع نص (١ قورنثية ١٥) الذي هو في غاية الاهمية.

القيامة: توغل الله في التاريخ

راينا ان نكمل هذا الملف بصفحة من كتاب "الموت والحياة في الكتاب المقدس" بقلم البيبلي الكبير آلان مرشدور (رقم ١٠ في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"). وهذه الصفحة هي بمثابة المحطة الاخيرة من اختبار سيناء الذي رافق بني اسرائيل طوال تاريخهم، حين سيقوم اختبار القيامة بالدور الجوهري في حياة المؤمنين... (الناشر)

تقبّل المسيحيون الأولون القيامة على أنها الحدث المؤسّس الجديد الذي يحلّ محلّ وحي سيناء ويحقّقه. يبيّن سفر أعمال الرسل أنهم، منذ حلول الروح القدس في العنصرة، رأوا في أنفسهم جماعة الروح وأورشليم الأزمنة الأخيرة و "كَحَل" الجديد (جماعة البّريّة الجديدة).

• مر١٦/١٨: نشأة الايمان المسيحي

في رواية زيارة النساء الى القبر، نجد أثراً لما أحدثه اختبار القيامة من اضطراب. هذا النص هو أكثر من ذكرى قِصَصية، فإنه يصف توغّل الله في تاريخ البشرية، مشيراً الى الطابع المفاجئ والمحيِّر والمدهش الذي يتّسم به حادث يفوق طبيعة الانسان، والذي يتهرّب به يسوع من قبضة الانسان، والذي لا يمكن أن يوحيه إلاّ الله.

• "ولمَّا انقضى السبت"... يوم الأحد

يُشعرنا الكاتب بأن شيئاً جديداً تماماً قد ابتدأ. انقضى السبت: يشير الكاتب الى ان النظام اليهودي انتهى، ليترك المكان "ليوم الاحد". لقد طُويت الصفحة وافتتح العصر المسيحي بدءاً جديداً.

"وعند فجر الأحد... وقد طلعت الشمس"

في النص شيء من عدم التناسق، ولا شك أنه مقصود. فعبارة "الفجر" تعني ان ظلام الليل لا يزال مخيِّمًا، في حين ان عبارة "وقد طلعت الشمس" تعلن أن نور النهار قد انبثق. ففي موت يسوع ثُقُل ظلام الليل على العالم. لكن الشمس أخذت تسطع: أفلا يعني هذا التناقض تأكيد الايمان على أن موت يسوع يشير الى انتصار الحياة؟

• الجثّة والحيّ

هذا التركيب المبني على النقيض يواصَل. فالنص يشدّد كثيراً على ما تبحث عنه النساء: اشترين أطياباً ليطيّبن يسوع وأخذْن يبحثْن عن جثة يُردن تخليد وجودها. وجئن يُثبتن وفاة يسوع ويُقررنها نهائيّاً. وسؤالهنّ عن الحجر لا يعني شيئاً آخر، بل يرمز الى الغرق في حشا الارض ونهاية المغامرة البشرية ومناعة عالم الأموات التي لا يمكن التغلّب عليها.

نشأ اندهالهنّ، ثم خوفهنّ أمام انقلاب المنطق والحتمية البشرية. الحجر مدحرج: هذه أول ثغرة في منطق الموت الذي يقضي بأن تنغلق الشواهد دائما على الأموات. ولكننا أمام ما هو أكثر من ذلك: فليس القبر مفتوحاً فحسب، بل هو فارغ. جئن يبحثن عن جثة (للمحافظة عليها)، فوجدن انفغارًا، أو بالاحرى لاقيْن رسولاً كشف لهنّ بشرى غريبة: "انّه قد قام".

من الأمور الاساسية، في هذا الصدد، أن نحافظ على ما للوحي من طابع أوّلي. فأحياناً ما أدّى تشديد العَرض على الاهتمامات الدفاعية الى هذه العبارة المقلوبة: "القبر فارغ، اذاً قام يسوع". ولكن، في هذه الحال، يتلاشى الوحي، ويتحوّل السرّ الى مشكلة وتنحصر العلامة في برهان. فالعبارة الصحيحة هي: "لقد قام الرب (هذا هو الوحي)، والعلامة هي ان القبر فارغ". لكن العلامة لا تكون بليغة إلا لمن تقبّل أولاً كلمة الله.

وقد اثار هذا الوحي اضطراب النساء حتى انهنّ عدن غارقات في الرعب والسكوت. جئن ليضعن حدّاً نهائيّاً لحياة يسوع، فلقين الله الذي قلب مساعيهنّ وحوّل الى بداية ما كنّ يظنّنّه خاتمة. واثبت هربهنّ من القبر ما كانت تُشعر به الآيات الأولى: في القبر المفتوح الفارغ، بدأ شيء جديد. وبقيامة يسوع، بلغ الزمن اليهودي أجَلَه، وانتهى سلطان الموت ونشأت المسيحية في ما أوحاه ملاك الله: فلقد قام يسوع الناصري المصلوب.

ظهر:

- **دليل الى قراءة الكتاب المقدس: الاب اسطفان شربتيبه/ دار المشرق – بيروت (ط٢/١٩٨٦)**
- **سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (٣٣ جزءا)/ دار المشرق - بيروت**
- **جريدة بيبليا (٥٤ عددا للاعوام ١٩٩٠-١٩٩٨) المركز البيبلي الرعائي في جبل بيبلوس – لبنان**
- **مجلة بيبليا/ جامعة الروح القدس – الكسليك (لبنان)**
  ١– من ابراهيم الى يشوع بن نون، عهد وامانة (ك٢ – اذار ١٩٩٩)
  ٢– سفر يشوع بن نون (نيسان – حزيران ١٩٩٩)
  ٣– في الرسالة الاولى الى القورنثيين (تموز – ايلول ١٩٩٩)
  ٤– الرسالة الاولى الى القورنثيين واليوبيل العظيم (ت١–ك١ ١٩٩٩)
  ٥– سنة اليوبيل العظيم (ك٢–اذار ٢٠٠٠)
- **قراءة مجددة للعهد الجديد: الاب بيوس عفاص/ مركز الدراسات الكتابية – الموصل ١٩٩٩**
- **ملفات الكتاب المقدس:**

١– الحديث عن القيامة	ايلول ٢٠٠٠	مركز الدراسات الكتابية – الموصل
٢– الافخارستيا	ك١ ٢٠٠٠	مركز الدراسات الكتابية – الموصل
٣– ايليا واليشاع	ك٢ ٢٠٠١	مركز الدراسات الكتابية – الموصل
٤– امثال يسوع	نيسان ٢٠٠١	مركز الدراسات الكتابية – الموصل
٦– ما وراء الموت	تموز ٢٠٠١	مركز الدراسات الكتابية – الموصل

- **فرد الايمان بحجة الحياة: فرانسوا فاربون/ دار المشرق – بيروت (ط٢/ ١٩٨٩)**
- **صلوات جديدة/ دار المشرق – بيروت (ط٢/١٩٩٢)**
- **مقدمات في الكتاب المقدس/ دار المشرق – بيروت (١٩٨٢ – ١٩٨٥)**
  ١–مدخل الى كتب الشريعة
  ٢–مدخل الى كتب التاريخ
  ٣–مدخل الى كتب الحكمة
  ٤–مدخل الى كتب الانبياء
  ٥–مداخل الى العهد الجديد

سيظهر:

- **مجتمع يسوع، تقاليده وعاداته (الاب سامي حلاق اليسوعي/ دار المشرق – بيروت ١٩٩٩**
- **ازائية الاناجيل الاربعة/ دار المشرق – بيروت ٢٠٠٠**

نلفت الانتباه الى ان مركز الدراسات الكتابية قد انجز استنساخ الاجزاء الخمسة من المقدمات في الكتاب المقدس والتي تصدرت اسفاره في طبعة دار المشرق (بيروت). وهي تباع مفردة ومجتمعة –مع سائر الكتب المعلن عنها– في مكتبة "بيبليا" (كنيسة مار توما للسريان الكاثوليك).

- مدخل الى كتب الشريعة ٥٠٠ دينار
- مدخل الى كتب التاريخ ٥٠٠ دينار
- مدخل الى كتب الحكمة ٥٠٠ دينار
- مدخل الى كتب الانبياء ٥٠٠ دينار
- مدخل الى العهد الجديد ٧٥٠ دينار
- الاجزاء الخمسة في مجلد واحد ٢٥٠٠ دينار

Les Dossiers de la Bible

Centre d'Etudes Bibliques – Eglise Mar Thomas Mossoul - IRAK

2ème Année Juillet 2001 No. 5: La mort et l'au - delà

الموت والحياة في الكتاب المقدس

لقد جسّد المسيح، امام الموت، اخلص ما انجبه الدين اليهودي. فبدا لنا ذاك المؤمن الذي تجرّد كليا من ذاته، وجعل حياته كلها تحت نظر الله. لقد جسّد في هذه الارض اكمل وجه انجبته البشرية في كل تاريخها، فعاش عيشة ومات ميتة لم يسبقه اليهما أحد. وانتشله الآب من الموت، فكشف لنا ما لم يكن في امكان عيوننا الجسدية ان تراه، اذ كان الله حاضراً فيه. ومن خلال اقواله واعماله، رسم الله وجه الانسان الجديد، آدم الجديد، المدعو ليكون "بكرا" لبشرية جديدة. وماكُنّا سنقوى على معرفة ذلك الا بفضل القيامة، وهي كلمة الله في ابنه. ومنذ ذلك الحين، اتخذ مصيره العارض والخاص قيمة الابدية والشمولية لجميع البشر. وحين مات، "اسلم" الروح.. واللفظ اليوناني يعني في الوقت نفسه انه مات وانه سلّم روحه. وهذا الروح سيقيم بعد اليوم بين المؤمنين، مضفيا على حياتهم وعلى موتهم عمقا جديدا.

لا يعني ذلك ان يسوع يزيل، من اجل المؤمنين، ما للمغامرة البشرية من طابع مأساوي. فلقد جابه دنوّ موته حتى النهاية، بالدموع والدم، فتبنّى رعب الانسان ساعة العبور. وامام قبر لعازر، "جاش صدره واضطربت نفسه وبكى". فلم يُجنَّب الشدة امام وفاة صديقه ودنوّ أجَلِه. وفي ذلك منع المؤمنين من المناداة باستسلام سلمي، كما منعهم من فرح صاف امام الموت. فان المحدودية في الاختبار البشري (وهي تظهر بجذورها امام الموت) هي اعمق من ان تُغفَل باسم ما يريدون ان يسمّوه الايمان.

يبقى ان قيامة يسوع تُحوّل النظرة التي يُلقيها الناس على حياتهم: "قد مات من اجلهم جميعاً، كي لا يحيا الاحياء من بعدُ لأنفسهم، بل للذي مات وقام من اجلهم" (٢ قورنتس ٥:١٥). وقصارى القول بان من اراد ان يحيا حياة تامة، وجب عليه ان يؤمن ويحب ويرجو، كما فعل يسوع نفسه، لكن الظواهر تكون احيانا خداعة، كما يشهد على ذلك مأخذ يوحنا على كنيسة سرديس: "يقال انك حي مع انك ميت" (رؤيا ٣:١).

البدء بحياة مختلفة منذ الان، على رجاء حياة اخرى، تلك هي رسالة الانجيل في كمالها. كشف يسوع لمرتا (يوحنا ١١) ان الحياة الحقيقية تبدأ منذ الان. وهناك شرط واحد، يلخّص بالعبارة الجميلة التي وردت في ١ يوحنا ٣:٢٢: "وصيته هي ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وان يحب بعضنا بعضا، كما اوصانا". ان الحياة في الله تبتدئ منذ الان، ولا تنتهي في حياتنا الارضية: شعر العبرانيون بهذه الحقيقة، وأكّدها المسيح بوضوح، وجاءت القيامة وجعلت منها يقينا.

آلان مرشدور
ترجمة الام ماري هنريت
دراسات في الكتاب المقدس/١٠
دار المشرق-بيروت

في هذا الكتاب للاب آلان مرشدور خاتمة رائعة توجز مسيرة ايمانية طويلة مع الحياة، عاشها بنو اسرائيل طيلة التاريخ، فوجدت اكتمالها في شخص يسوع، ذاك الانسان الذي رأى الله فيه صورته كاملة.. فكان آدم الجديد المدعو ليكون "بكرا" لبشرية جديدة... ومن ثم اتخذ مصيره الخاص قيمة الابدية والشمولية لجميع البشر.

Les Editions Biblia - IRAK

طبعة ثانية مجددة/ ٢٠٢٠

مكتبة بيبليا – كنيسة سلطانة السلام/ عنكاوا

سعر النسخة: ٤٠٠٠ د